الموسوعة الصينية (١)

تاريخ الدول والامبراطوريات الصينية

تأليف

أسامة الجوهرى

تاريخ الدول والامبراطوريات الصينية

الموسوعة الصينية (١)

تأليف
أسامة الجوهرى

الكتاب الأول

الدول والأسر الحاكمة في الصين

تواريخ الأسر الحاكمة في الصين

مملكة شيا	٢٠٠٠ – ١٥٢٠ ق.م تقريبا.
مملكة شانج	١٥٢٠ – ١٠٣٠ ق.م تقريبا.
أسرة دجو	١٠٣٠ – ٧٢٢ ق.م تقريبا.
الفترة الأولى	
فترة تشون تشوى	٧٢٢ – ٤٨٠ ق.م
فترة الدول المتحاربة	٤٨٠ – ٢٢١ ق.م
أسرة تشين	٢٢١ – ٢٠٧ ق.م
أسرة هان	
هان الغربية	٢٠٢ ق.م – ٩م
فترة شين	٩ – ٢٣ م
هان الشرقية	٢٥ – ٢٢٠ م
فترة الممالك	٢٢١ – ٢٦٥م
شو	٢٢١ – ٢٦٤م
دى	٢٢٠ – ٢٦٥م
دو	٢٢٢ – ٢٨٠م
أسرة دجين	
الغربية	٢٦٥ – ٣١٧م
الشرقية	٣١٧ – ٤٢٠ م
أسرة سونج (ليو)	٤٢٠ – ٤٧٩م

الأسر الشمالية والجنوبية

تشى	٤٧٩ – ٥٠٢م
ليانج	٥٠٢ – ٥٥٧م
تشين	٥٥٧ – ٥٨٩م
ويي الشمالية	٣٨٦ – ٥٣٥م
ويي الغربية	٥٣٥ – ٥٥٦م
ويي الشرقية	٥٣٤ – ٥٥٠م
تشى الشمالية	٥٥٠ – ٥٥٧م
دجو الشمالية	٥٥٧ – ٥٨١م
أسرة سوى	٥٨١ – ٦١٨م
أسرة تانج	٦١٨ – ٩٠٦م
فترة الأسر الخمس	٩٠٧ – ٩٦٠م

اسر ليانج – تانج – دجين – هان – دجو المتأخرة

أسرة لياو	٩٠٧ – ١١٢٤م
أسرة لياو الغربية	١١٢٤ – ١٢١١م
دولة شي شيا	٩٨٦ – ١٢٢٧م
أسرة سونج الشمالية	٩٦٠ – ١١٢٦م
أسرة سونج الجنوبية	١١٢٧ – ١٢٧٩م
أسرة دجين (تتر)	١١١٥ – ١٢٣٤م
أسرة يوان (مغول)	١٢٦٠ – ١٣٦٨م
أسرة منج	١٣٦٨ – ١٦٤٤م
أسرة تشنج (مانشو)	١٦٤٤ – ١٩١١م
جمهورية الصين	١٩١٢م

المقدمة

يستخدم المؤرخون وعلماء الإنثروبولوجى عبارة مفادها أن الزراعة هى أساس الحضارات وقد قام جوردون تشايلد الذى وضع مصطلح "الثورة التقنية فى العصر الحجرى الحديث " تعريفا لمفهوم الحضارة بطريقة أوضح بإضافة عدد من الملامح العامة للحضارة .

النمو فى حجم المستوطنات حتى تصبح مدينة والتراكم الرئيسى لرأس المال كنتيجة للجزية أو الضرائب وتزايد نسبة السكان المتحررين من العمل فى إنتاج الغذاء بطريقة مباشرة والأعمال العامة على نطاق كبير ومن الجانب الاجتماعى فإن أوضح ملامح تطور الدولة المصحوب بتزايد كبير فى الاختلاف الطبقى .

ويتم استبدال المنظومة القبلية بأخرى إقليمية ويتبع ذلك انجازات فنية وفكرية واختراع الكتابة الذى ساهم فى تقدم العلوم وإنشاء عدد كبير من المبادئ العامة .

طورت الصين فى العالم القديم وقبل التاريخ علم ميتالوروجى لتتمكن من عمل إنجازات رائعة فى سبائك البرونز وصولا إلى الحديد الصلب الذى تفوقت فيه على أوروبا بشكل رائع حتى أن أوروبا لم تلحق بها إلا فى القرن ١٧ .

ومعلوم أن المعادن تحتاج إلى طاقة كبيرة الأمر الذى دعى لتوفير ما يخدم هذه الطاقة

كما كانت المنسوجات الرائعة التى وصلت إلى مستوى عالى من النسيج الذى انتجته الصين بطرق ميكانيكية استخدت فيها طواحين الهواء .

الحضارة الصينية نشأت كحضارة زراعية وإذا أضفنا تعريف أرنولد توينبى أن الحضارة تتمثل فى التحدى والاستجابة فإن الحضارة الصينية سلسلة من التحديات التى لا تنتهى السيطرة على النهصر الأصغر وغيره من الأنهار الإنتتاج الزراعى بكثافة تكفى هذا الكم من البشر .

لقد تعاملت مع الحضارة الصينية من خلال ما كتب عنها هنا وهناك وحاولت تجميع كل هذه الأجزاء لاخراج عملا متكاملا ولما كانت دراسة الحضارة الصينية من شتى الجوانب فقد افردت لكل جانب من هذه الجوانب كتابا ولنبدأ بمعرفة للدول والإمبراطوريات التى شكلت ما تعرفه بالصين .

لقد شكلت عقولنا ما يمليه علينا الغرب مباشرة أو بشكل غير مباشر ويسود العالم فكرة أن الحضارة والعلوم هى نتاج غربى بدأ من العنصر الكلاسيكى على يد الإغريق ذلك الشعب الفذ مع إغفال الأصول المصرية للحضارة اليونانية رغم اعتراف هيرودوت بذلك وكذلك الحضارة الصينية التى شكلت أروع وصول تاريخ البشرية فالطباعة والورق والبارود وطواحين الماء وكما كبيرا من المخترعات التى ساهمت بدور فعال فى الحضارة الحديثة أوصلها صينية كما اتسمت الحضارة الصينية بالاستمرارية والدوام فالحضارات القديمة كالفرعونية مثلا عانت من انقطاع لكن الحضارة الصينية استمرت حتى الآن .

الكتاب الأول	تاريخ الدول والامبراطوريات الصينية .
الكتاب الثانى	أديان الصين
الكتاب الثالث	الفن الصينى
الكتاب الرابع	مظاهر الحضارة الصينية
الكتاب الخامس	طريقة الحرير
الكتاب السادس	الطعام الصينى
الكتاب السابع	الصين والحضارة الغربية
الكتاب الثامن	الحضارة الصينية والعرب

كما سيكون هناك كتب خاصة بالصين الحديثة .

- أهم المدن الصينية
- الصناعات الصينية ومراكزها

مزودة بخرائط تسهل على من يرغب فى التعاون مع الصين بالبيع والشراء .

طريق الألف ميل يبدأ بخطوة والخطوة الأولى هى كتـــاب الإمبراطوريـــات الصينية ، وكتاب أديان الصين ، يليه فنون الصين .

الصين والحقيقة الصادمة في التاريخ الصيني هو أنها استمرت في التاريخ لمدة طويلة فعلى مدار ألفى عام ونصف الالف وهناك أمه صينية تستخدم لغة صينية . وحكومتها كوحدة منفردة تعتبر شيء عادى رغم وجود بعض الفترات التي فيها انقسام وفوضى، عاشت الصين حضارة لها من الدوام والاستمرارية ما لا يماثلها في هذا إلا الحضارة المصرية القديمة، وهذه التجربة هي مفتاح الهوية الصينية التاريخية الثقافية في الصين جعلت توحيد الحكومة أسهل، وقد بلورت مؤسسات معينة وتوجهات خاصة لكن لها الدوام لأنها تلائم ظروفها تماما.

ولنبدأ بالأرض وهى من النظرة الأولى " لا توحي بإمكانيات التوحيد فهي اكبر من الولايات المتحدة وتحوى أجناس وأعراق من البشر، وسور الصين العظيم الذي يحمى الجبهة الشمالية صنع ليغطى ما بين ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ ميل من التحصينات ولم يدرس بالكامل، ومن بكين حتى هونج كونج تصل المسافة إلى أكثر من ١٢٠٠ ميل، وهذا الامتداد الطبيعي يحتوى على عدة أنواع من المناخ والأقاليم، وفى الصيف يكون الشمال جاف شديد القيظ والحرارة بينما الجنوب رطب ويعانى من الفيضانات ويبدو الشمال قاحل ورياحه متربة في الشتاء بينما يتمتع الجنوب بالخضرة الدائمة.

ومن قضايا التاريخ الصيني المبكر كيفية انتشار الحضارة وتكون أحيانا بالهجرة أو بالانتشار من الشمال إلى الجنوب أو بالوحدة السياسية لتأخذ نفس الاتجاه أو بإيجاد الحافز والمثير و تلقيح الحضارات الشمالية بإمدادها بتيار من الخارج من منغوليا ووسط آسيا.

التقسيم الداخلي للصين يقوم به الجبال والأنهار هناك ثلاثة أودية انهار عظيمة وهى تسيل نحو الداخل وتجرى عبر الصين من الغرب إلى الشرق وهم أيضا ينضمون من الشمال إلى الجنوب.



"الهوانج هو" أو النهر الاصفر واليانجستي والسيكيانج .الغريب أن تكون دولة بهذا الاتساع والتقسيم الجغرافي بهذا الشكل وتكون بها دولة مركزيةعلى الإطلاق.

إلا أن الصين مع ذلك معزولة أيضا، ويعتقد البعض أن هذا البلد عالم وحده حتى من قبل عصر البليستوسين، ومعظم الصين جبلي باستثناء أقصى الجنوب وأقصى الشمال الشرقي تكون حدودها سلاسل جبلية عالية تحصر بينها هضاب.



المنابع الرئيسية لليانج تسى مثل منابع الميكونج تأتى من أعالى كوتلون شمال التبت، وهذه الحدود الجبلية المرتفعة عوازل كبيرة، والقوس الذي تشكله هذه الجبال ينقطع في المكان الذي يتدفق فيه النهر الأصفر جنوبا إلى الصين من داخل منغوليا وعلى ضفاف الأنهار تبدأ قصة الحضارة في الصين وتعود الى ١٠ آلاف عام قبل الميلاد. ومن المؤكد أنهم استغلوا النبات ليمدهم بالألياف والطعام ، إلا أن هذا الموضوع لا يزال محل اخذ و رد. والأجدر بنا ما هو اصدق من ذلك وهو وجود ما يدل فعلا على وجود زراعة في شمال الصين تعود إلى ٥٠٠٠ قدم.



وكانت الأرض تزال منها الأعشاب وغيرها ويتم زراعتها بضعة سنوات يم تترك لتتحول الى طبيعتها الأولي وبينما يتحول المزارعين الى منطقة أخرى يزرعونها. ومن هذه المنطقة نجد انتشار الزراعة شمالا الى منشوريا والى الجنوب.

لذلك تعتبر منطقة النهر الأصفر هي نواة منطقة شمال الصين والتي سرعان ما ظهر بها ثقافات معقدة من حيث الزراعة واستخدام اليشب والخشب في النحت وتربية دود القز وصناعة آواني طقوسية بأشكال سوف تصبح تقليدية وربما استخدام العصي لتناول الطعام.

مثل:

- ثقافة يانغ تشاو ٥٠٠٠-٣٠٠٠ق.م بحوض النهر الاصفر
- اكتشاف ثقافة خمودو ٥٠٠٠-٤٠٠٠ ق.م فى المجارى السفلى لنهر يانجتسى
- ثقافة لونجشان ٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م بمقاطعة شاندونج
- ثقافة ليانج شو ٣٣٠٠-٢٢٠٠ ق.م بمقاطعة تشجيانج
- ثقافة هونجشان ٢٥٠٠ ق.م منطقة منغوليا الداخلية
- وعاء فخاري اكتشف في أطلال بانبوه بشيان شنشي ٤٨٠٠-٤٣٠٠ (ش ١).
- فخاريات ملونة أكتشفت في اطلال ماجيابـاو بمحافظة لينتشاو قانسو ٣٣٠٠- ٢٩٠٠(ش٢) .

- رأس تمثال الهة عيناه مرصعتان بقطع اليشب أطلال نيوجليانج٣٦٠٠ق م (ش٣) .

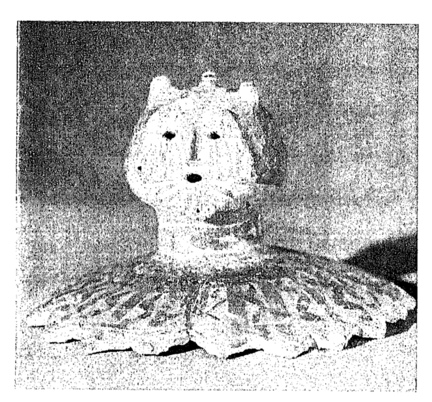
بمعنى أن هذا هو زمن العصر الحجري الحديث وهو أساس كل ما سوف يميز التقاليد الصينية بعد ذلك في المناطق والعصور التاريخية.

وقد عرف الكتاب القدماء وأهمية التغير الاجتماعي والثوري وتعرف الأساطير مخترع معين للزراعة الا أن ما يمكن استخلاصه من الأساطير عن التنظيم الاجتماعي في هذه المرحلة جد قليل جدا وغير واضح وقد كانت الملكية الخاصة معروفة في هذه الفترة ومنتشرة بين الناس.

كما ظهرت بنية البطون والطواطم وتحريم الزواج من داخل البطن الواحدة. وصلة القرابة بهذا الشكل تكون أول مؤسسة عاشت حتى العصور التاريخية. ووجود الخزف أيضا يبدو انه من الأشياء التي عرفها الصينيون قبل أن نصل الى العصور التاريخية.

ومن الأشياء التي تظهر واضحة في هذه المرحلة هو استخدام الدخن وهو نوع من الحبوب بتكيف تماما مع صفات الزراعة في الشمال. وسيصبح هذا المحصول هو العنصر الأساسي في طعام الصينيين ووجباتهم حتى بداية الألف الثاني بعد الميلاد.

وترى مجتمع يكاد يصل الى معرفة القراءة والكتابة يقوم لديه من عظيم لسبك البرونز يعتمد على تكنولوجيا صعبة ومتقدمة ويستطيع أيضا صنع خزف أجمل بكثير من أي شيء آخر صنع في هذا العالم.



ونظام سياسي واجتماعي يعرف به أول أهم عصور التاريخ الصيني. إلا انه يجب أن نتذكر مرة ثانية أن الزراعة التي جعلت كل هذا ممكنا كانت قاصرة على شمال الصين وان أجزاء كثيرة من هذا البلد الضخم أخذت بالزراعة مع بداية العصور التاريخية.

يتدلى النهر الأصفر من صحراء اوردوس وهو ينفصل عنها بسلسة جبلية أخرى من صحراء جوبى ويفتح ما يشكل شكل قمع إلى الصين الشمالية ومن خلاله تدفق الناس والتربة وقاع النهر خصب يحمل الطمي ويشكل النهر قاعدة الزراعة الأولى في الصين.

كان هذا الإقليم غنى بالغابات ومروي بشكل جيد إلا انه أصبح أكثر برودة وجفاف بسبب تغيرات مناخية. أما بالنسبة للإنسان في الصين قبل التاريخ لكن هناك عدة أودية انهار وليس وادى واحد.

ظهر إنسان بكين كمستخدم للنار منذ ٦٠٠.٠٠٠ عام كما أن هناك آثار لإنسان النياندرتال في كل الأحواض الثلاثة للأنهار الثلاثة العظيمة في الصين. ومن خلال تتبع هذ ين العنصرين وصولا الى الثقافات التي لا يمكن إدراكها بسهولة، والذين نري سلالتهم في العصر الحجري الحديث المبكر ويقودنا ذلك الى صين مقسمة الى منطقتين ثقافيتين ومع مكان للقاء العنصرين وامتزاجهما في منطقة المستوطنات الزراعية كان صيد وحيد القرن والفيلة في شمال الصين حتى ١٠٠٠ قبل الميلاد. وكما حدث في أماكن أخري من العالم كان مجيء الزراعة معناه " ثورة تقنية ".

وقد نوقشت مسألة ما إذا كان سكان المناطق الساحلية شبه الاستوائية لجنوب شرق آسيا وجنوب الصين يزيلون الغابات لتحويلها الى حقول في الفترة فيما بين الألف الرابعة والثانية قبل الميلاد وفي شمال سور الصين العظيم في المنطقة التي تمتد من منشوريا الى سن-كيانج وقد دلت الأدوات الحجرية المنحوتة ومشغولات الفخار الملونة على وجود ثقافة قديمة.

وفي تلك المنطقة الآسيوية الشاسعة التي تمتد فيما بين بحر الصين الى سيبريا عاش أسلاف الصينيين في الأزمنة السحيقة.

نزح هؤلاء السكان من سهل الشمال العظيم الذي يرويه نهر الهوانج-هو أو النهر الأصفر والذي يبلغ طوله ٤٤٠٠ كم وهو نهر شرس متقلب لذلك أطلق عليه سكان المناطق المتاخمة اسم " حزن الصين العظيم ".

ويري معظم المؤرخين أن أصل الصينيين أنهم بدأوا بأولئك البدو الذين يحتمل أنهم وفدوا من آسيا الوسطي أو سن-كيانج الحالية التي يجري فيها نهر التاريم الذي يبلغ طوله ٢٠٠٠ كم، ثم استقروا على هضاب شنسي وفيها انتشروا في

أودية نهر " وا " والنهر الأصفر. وكما هو معتاد تحول هؤلاء الوافدون الى شـــعب من الفلاحين واخذ يتقدم نحو الجنوب بحثا عن الأرض الصالحة للزراعة.

وأثبتت الأبحاث في فترات ما قبل التاريخ أن شمال البلاد مر بفترة مناخية استوائية ثم كان احتلال المزارعين لها سببا في إزالة الأشجار بقدر كبير مما غيـــر المناخ. وصل هؤلاء الفلاحون في بحثهم عن مناطق أكثر خضرة الى نهر يانج تسو كيانج الأزرق. وهو أطول انهار الصين ٥٥٠٠ كم ويصب في بحر الصين.

ثورة العصر الحجري الحديث

أثناء الألف السادس قبل الميلاد 5000 BC – 6000 أستمر انحسار الثلاجات الكبيرة والكتل الجليدية وأصبح من الضروري أو بالأحرى تزايدت أهمية أن يظل إنسان الشرق الأوسط بالقرب من مناطق المياه. وسار التغير المناخي جنبا الى جنب مع التغير البطيء في طريقة معيشة البشر والكائنات الحية مما نتج عنه رغبة الإنسان القوية في إحداث تغييرات أكثر في حياته وهو ما نسميه بثورة العصر الحجري الحديث.

الزراعة:

التطور المذهل حقا هو في إدراك الإنسان أن عليه أن يجلب الغذاء بزراعته، وقد مكنت الزراعة الإنسان من الاستيطان والاستقرار وكانت هذه هي الخطوة الأولي للإنسان على طريقة التحضر. فقد مكنت الزراعة الإنسان من الحصول على مصدر منتظم للغذاء ومع الزراعة زاد عدد السكان. و من بين محاصيل العصر الحجري الحديث كانت الحبوب التي تطورت من أعشاب وحشائش محلية. نوعين على الأقل من الشعير والذرة من بين أول الحبوب التي زرعها الإنسان.

المجموعة الثانية من الطعام شملت الفول و البازلاء والعدس أما التين والبلح والخوخ والتفاح والكروم فكونت المجموعة الثالثة وبنهاية العصر الحجري الحديث أصبح الزيتون موجود كطعام وكزيت استخدم في الطهي والحماية بشرة الإنسان ودخل في خدمة الإنسان.

وشكلت الماعز والخراف أول قطعان يربيها الإنسان كما ساعد استئناس الكلب على حراسة الأغنام ومع استمرار العصر الحجري الحديث استأنس الإنسان حيوانات أخري كالخنازير والحمير والبقر والثيران.

الأدوات الجديدة:

في بداية العصر الحجري القديم وخلال العصر الحجري الوسيط كان الإنسان يستخدم الحجر في تكوين أسلحته وأدواته من خلال تشظية الحجر Chipping. شكل الإنسان في العصر الحجري الوسيط أدواته وأسلحته من العظم وذلك بالشغل عليه باستخدام سكاكين من الحجر ، وحوالى ٦٠٠٠ ق . م عرف الإنسان صقل هذه الادوات Grinding.

وفي نفس الوقت استخدم أحجار صلبة من الجرانيت وهذه الأنواع من الحجر لم تأخذ فقط حوافها القاطعة حدة أكثر وقوة اكثر ولكن يمكن أيضا إعادة سنها عندما تقل حدة القطع بها والفأس من هذه الأحجار الصلدة تقطع شجرة بدون أن تتفتت الى قطع كما تفعل مثيلاتها من الصوان Flint. ومن اجل حراثة الأرض اختاع الإنسان المحراث اليدوي Hoe وبالأداة الجديدة أصبح لديه القدرة على شق التربة مما سهل عليه زراعة محاصيله، ثم اخترع المحراث في مصر من خلال إطالة يد السلاح ثم ربطه الى نير يتم ربطه بقرني ثور وباستخدام الحيوان بالإضافة الى الأداة التي كانت يدوية حدث تقدم أكثر لان قوة الحيوان اشد من قوة الإنسان كما أمكن استخدام سلاح محراث اكبر من ذلك الذي كان يستخدمه الإنسان كما أن الحفر الذي يحدثه الحرث كان أعمق وأمكن زراعة حقول اكبر وإنتاج أكثر للطعام. ولحصاد الحبوب اخترع الإنسان سكين بمقبض من العظم وتم تركيب أجزاء حادة على حافة السكين وكانت المقابض العظمية تحمل نقوش جميلة مزينة للمقبض مما

يدل على أن وظائف الحياة اليومية تركت للإنسان بعض الوقت الذي تم استغلاله في التعبير الفني.

ومن أعظم اختراعات الإنسان في هذه الفترة اختراع العجلة، فخلال فترة العصر الحجري الوسيط كان البشر أحيانا يسحبون الأفراد أو الممتلكات لنقلها من مكان الى آخر على زحافات لكن جر الزحافات كان صعبا وبطيئا في نفس الوقت وقد ظلت الزحافات مستخدمة في الشرق الأوسط خلال العصر الحجري الحديث إلا أن العربات المزودة بعجلات ظهرت في بلاد الرافدين، أثناء ذلك كانت العربات الأولى تتسم بان العجلات متصلة بالاكسل أو عمود المحور وهي تلف معه ثم حدث تطور أخر باستخدام العجلات حرة الدوران المتصلة بعمود الدوران. ومثل هذه العربات بدون أي نوع من التشحيم والعجلات الخشبية مع العمود الذي يصلها كانت ولا شك تصنع ضوضاء عالية أثناء تحركها. إلا أن هذه العربات الأولى والتي اعتمدت على قوة الثيران لجرها مكنت الفلاحين من نقل المنتج الزراعي من الحقول إلى القرية. ومن ثم أصبح باستطاعته زراعة مساحة اكبر من الأرض ليعطي غذاء لعدد اكبر من السكان الذين أصبح لديهم الفرصة للعيش في عدد اكبر في القرية.

الصين في العصر الحجري الحديث

شهدت فترة ما بين ٢٠٠٠ – ١٦٠٠ قبل الميلاد نمو الحضارة في الصين وانبثاق هذه الحضارة من معطيات العصر الحجري الحديث وما حدث من ثورة تكنولوجية(الزراعة – العجلة – الفخار – الكتابة) .أدى الاستقرار والاستيطان الزراعي الى زيادة عدد السكان ونمو المهارات وصولا الى بعض ما يمكن أن نطلق عليه المدينة – المملكة مثل نومات بلاد الرافدين والمدينة الدولة في العصر الإغريقي.

وادعى الملوك صلتهم بالسماء كما طور بعضهم مدافن متقنة شهدت أيضا تقديم قرابين بشرية مثل تلك التي في فجر الحضارة المصرية القديمة وسومر.
حل البرونز محل النحاس والخزف والخشب ومرت الكتابة من مرحلة الصور الى مرحلة الأفكار إلا أنها أظهرت عدم تشابه لأي من لغات الشعوب والحضارات الأخرى.

وعلى رغم وجود ما يدل على هجرة ضخمة من الهلال الخصيب أو من مصر إلا أن المرجح هو أن عددا قليلا من التجار حملوا معهم فضلا عن التجارة أفكار من مصر والعراق الى الصين. كان التجار هم الذين حملوا ثقافة الشرق الأوسط الى الصين شرقا أو هم الذين مرروا الأفكار المتحضرة من قبيلة الى قبيلة عبر وسط آسيا.

ويقول الصينيون في أساطيرهم أن الذي علم الصينيون اختراع المركبة ذات العجلات واستخدام المعادن وتقطيع اليشب والأحجار الاخري وبناء المنازل والمعابد بالآجر والذي علمهم الفلك وعلومه والموسيقي هم الأباطرة الخمسة الذين أعقبهم أول أسرة حاكمة صينية هي أسرة Hia " هيا " ١٩٨٩ – ١٥٥٨ ق م وتعرف أيضا باسم Xia " زيا " وهذه الأسرة سابقة عن عصر البرونز.

ينقسم عصر البرونز إلي:

١- العصر البرونزي المبكر Early Bronze age ٢٨٠٠ – ٢٠٠٠

٢- العصر البرونزي الوسيط Middle Bronze age ٢٠٠٠ – ١٦٠٠

٣- العصر البرونزي الإمبراطوري Imperial of Bronze age ١٦٠٠ – ١٢٠٠.

شهد عصر البرونز المبكر عصر السلالات وسومر واتحاد دويلات بلاد الرافدين

كما شهد الدولة القديمة في التاريخ المصري، وحضارة بلاد السند أولى حضارات الهند، وفي هذا العصر وصلت ثورة العصر الحجري الحديث الى أوروبا والصين.

وشهد العصر البرونزي الوسيط إنشاء مملكة العموريين في بابل بالعراق والدولة الوسطى في مصر ٢٠٠ – ١٨٠٠ ق م تحرك صين العصر الحجري الحديث نحو إنشاء حضارة.

العصر البرونزي الإمبراطوري ١٢٠٠ – ١٦٠٠

شهد العصر البرونزي الامبراطوري ظهور امبراطوريات الدولة الحديثة في مصر (١٥٨٠ – ١٠٨٥ ق م) و إمبراطورية الحيثيين في غرب آسيا نمو المدن في شرق كريت ومن خلال تبادل التجارة والأفكار مع مصر وبلاد الرافدين تكونت حضارة المينوان في كنوسوس.

وبالنسبة للصين فقد شهدت في الفترة ما بين ٢٠٠٠ حتى ١٦٠٠ نمو البؤر الاستيطانية في العصر الحجري الحديث وتحولها الى ممالك – مدينة. وبدء الحضارة وبملامح يمكن القول بأنها مصرية وعراقية الى حد ما وحل البرونز محل النحاس.

اكتشفت أقدم الآثار الدالة على وجود الإنسان على الأرض فيما بين ١٩٣٢ – ١٩٤٠ وقد كشف عنها حفريات عدد من ابرز علماء الأحياء نذكر منهم تيلهارد دي شاردان. وترجع الى أكثر من ٥٠٠٠٠٠ عام في موقع شو – كو – تين الى الجنوب الغربي من بكين.

دلت الحفريات على أن ذلك الإنسان القديم كان يستخدم أدوات من الحجارة كما كان يعرف النار. وقد أطلق على تلك الحفريات اسم إنسان بكين Sinanthopus .Pekinesssis

ويعتقد أن لغة الإنسان تطورت خلال العصر الحجري القديم على ضوء اكتشاف مجموعة كبيرة من الهياكل العظمية التي تم اكتشافها في الكهوف بالقرب من بكين وهو الإنسان الذي أطلق عليه كما ذكرنا آنفا اسم إنسان بكين.

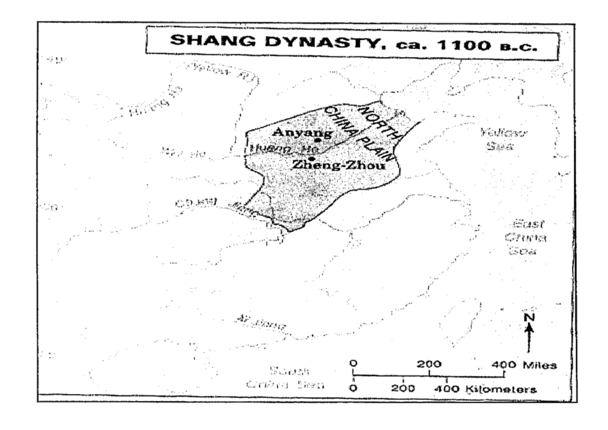
فوجود مجموعة من البشر في الكهوف يتيح الفرصة لتبادل الأفكار حول صنع السلاح وطبيعة استخدام النار وربما أيضا يجعلنا نحن نفكر في آكل لحوم البشر فقد كانت كل هذه الأشياء جزء من حياة إنسان بكين.

واكل لحوم البشر ليس بالضرورة بسبب نقص الغذاء فقد يكون لها تفسير ديني كما يحدث مع بعض القبائل البدائية التي تؤمن بالديانات التي تعبد القوي الحيوية فانتقال القوة من الحيوان الذي تأكله الى الإنسان وبما يكون تفسير بدائي لاكتساب الطاقة من أكل البروتين الحيواني.

الصين قبل كونفشيوس

دولة تشانج

١٥٢٠ – ١٠٣٠ ق.م تقريبا



أسرة تشو

١٠٣٠ – ٧٢٢ ق.م تقريبا

دولة تشانج من القرن ١٦-١١ ق.م

الصين قبل كونفشيوس :دولة تشانج

بداية التاريخ الصينى المسجل فى أسرة تشانج ١٥٢٠ – ١٠٣٠ ق.م تقريبا شمالي حوض النهر الأصفر نقلت عاصمتها مرات واستقرت فى ين (آنيانج خنان حاليا)

استطاعت الصين تطوير ثقافة ذاتية نظرا لعزلتها الجغرافية نسبيا إلا أنها ظلت في بداية هذا العصر على اتصال جيد الى حد ما مع المناطق الحضارية في الاستبس (من أوكرانيا حتى منشوريا).

أن ثقافة العصر الحجري الحديث أعقبتها حضارة العصر البرونزي وهي التي تعرف في التراث الصيني التاريخي باسم " الشانج " ثم عرفت في عصورها الأخيرة باسم " اليان ".

وقد عرفت من خلال التنقيب الأثري في عاصمتها القديمة في انيانج بإقليم هونان وفي بعض المدن الثانوية في نفس المنطقة ونظامها الاجتماعي يظهر عناصر أموية قوية وتتميز دياناتها بأنها ديانات زراعية حيث نري آلهة الحقل والخصوبة من أقدم الآلهة الصينية.

وفي أخر عصر الشانج ين ظهرت في الصين الخيول والعجلات الحربية وهي قادمة من وسط آسيا وقد ساهم ذلك في ظهور طبقة حاكمة من المحاربين الذين يحاربون من العجلات الحربية ومن ثم أدي الى ظهور طبقة الإقطاعيين.

ولدينا كتابات مصورة تغطي تطور دولة شانج ذات الملامح الشبيهة بشكل الحضارة الحالى في الصين.

كانت دولة الشانج ين على مساحة صغيرة نسبيا في حوض النهر الأصفر هوانج هو. وقد وقعت ضحية للجيوش التي هاجمتها من مجموعة عرقية ربما كانت ذات صلة بها وهي قبائل الـ وي التي كانت تعيش عند ثنية نهر الهوانج هو والأقل تحضرا وقد كان ذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

عرف هؤلاء باسم " التشو " كانت ثقافتهم تتميز ببعض الملامح معتادين على استخدام البرونز وليس لديهم نظام كتابة وديانتهم لا تهتم كثيرا بالآلهة الأرضية وتنتمي لنظام أبوي لعبادة الأسلاف، وسرعان ما استوعبت حضارة الشانج بملامحها الرئيسية وقد واجه انصهار الشعبين في حضارة واحدة صعوبات الى حد ما بالإضافة الى استهلاك قدر لا بأس به من الزمن. ولكن نتيجة هذا الانصهار هو ظهور الحضارة الصينية في العصر الكلاسيكي.

أن دولة التشو أوجدها الملك " وو " كانت سعيدة الحظ بوجود رجل دولة مثل " دوق الشو " راندي أصبح مستشارا للملك الثاني في دولة التشاو وهو الملك " ون ". وبسبب هذين الرجلين اكتسبت دولة التشو بنية قوية أساسها نظام إقطاعي متماسك فأجزاء الدولة يحكمها أمراء إقطاعيون ولكن يتمتعون بسلطة كاملة على إقطاعياتهم ولكن يتبعون في نفس الوقت سلطة اكبر واقوي هي سلطة الملك والملك يتلقى من الأمراء الإقطاعيين التابعين له دخلا كبيرا والمساعدات العسكرية أيضا.

الشانج:

يستحيل تحديد المراحل الزمنية لعصر الشانج إلا أن النظام القائم في هـذه الفترة يعتمد في الأساس على الملكية المطلقة فالملك أو الـ " ونج " ينظم الأمـور الدينية والمسائل المدنية والإدارية وربما كانت مهامه الدينية أكثر أهمية من الشئون الدنيوية وهو شخص مقدس في عصر منفرد يقـوم بإتمـام الطقـوس الموسـمية والرسمية.

وقد سكن الملك العاصمة حيث يقوم الوزراء وكبار القواد والموظفين بنقل أوامره وذلك بسبب عزلته المقدسة ويقدم الملك الذبائح الكبرى للآلهـة والأسـلاف والأموات الذين يستشيروهم بواسطة السحر عن الحصاد وتربية المواشي وهبـوب الرياح وهطول الأمطار.

يعيش الملك في قصر قائم في العاصمة يحيط به وزيره الأول (كنج شه) وكبـار وقواده الذين ينقلوا أوامره وقراراته ويسهرون على تنفيذ أصـول اللياقـات أثنـاء الاحتفالات الكبرى ويعدون يحفظون المستندات الملكية ويقومون ببعض الطقـوس ويسهرون على الكنز الملكـي ويحفظونـه وهناك موظفون آخرون يسـاعدون كبـار رجال الإدارة وهم الذين يسهرون على هيئة الطعام للقصر ونظافته ودفئه. كما يوجد خدم " شو " مخصصون لخدمة نساء القصر.



يهتم الملك بالإنتاج الزراعي بالدرجة الأولي فيعين مفتشو البذار ويراقبون الحصاد

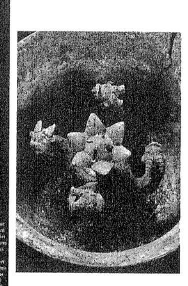
ولا تختلف حياة الفلاح اختلافا كبيرا من الحالة التي ستصبح عليا في أيـــام حكــم السلالات اللاحقة. اشهر المزروعات الحبوب مثل الحنطة والأرز وتحمي الأراضي المزروعة اكوام من التراب وقد اعتنوا بتربية الثيران الداجنة والخنازير والخـــراف التي كانت تقدم ذبائح.

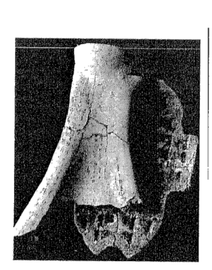


عندما عرفت الصـــين حكم أسرة الشانج دخلت التاريخ فبعد أن حكم الشانج معظم شمال الصين عرفت الحيـــاة المدنيـــة المنطقة والمراكز الحضارية من المدن المحصنة بجدران مصنوعة من اللـــبن وأول نصوص كتابية. والحقيقة أن المدن الصينية في هذه الفترة كانت في الأصل حاميات عسكرية افتتحت بهدف تجميع العسكر وسرعان ما أضيفت إليها بجانـــب الأســـوار الأسواق اللازمة واسم الشانج إنما هو اسم قبيلة من الرحل الذين اســـتطاع قـــادتهم إحكام السيطرة على بقية قادة القبائل في شمال الصين. وقد تغيرت عاصمة الشـــانج أكثر من مرة إلا أن أخر عواصمهم كانت " انيانج " الحديثة.

استطاع الشانج تطوير متالورجي البرونز والوصول به الى درجة عالية لم يسبقهم فيها احد خلال التاريخ. واستخدم البرونز في صب آواني طقوسية فخمة وفي صب الأسلحة أيضا والتي كانت مزينة بزخارف غائرة أو بارزة بشكل رائع.



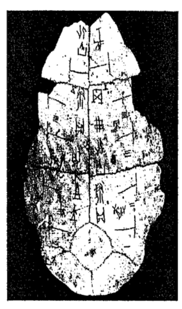




كما طور الشانج أيضا نظام كتابة متميز يستخدم حوالى ٥٠٠٠ شكل لا يزال بعضها يستخدم حتى الآن. وهذه العلامات تمثل كلمات خاصة ومعظم الكتابات الخاصة بالشانج مكتوبة على شظايا من عظام الحيوانات وعلى درقة السلاحف البرية العظام

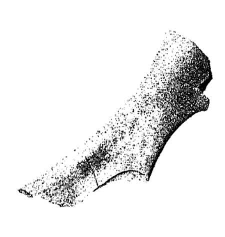
تمثل نصوصها إجابات أسئلة موجهة إلى الآلهة فعلى سبيل المثال يسال احدهم عن شفاء احد أفراد العائلة ويجيب الإله عليها على هذه الدرقة أو العظمة من خلال تسخينها لدرجة عالية تصل الى التشقق ومن هذه التشققات يتم تفسيرها بإجابة السؤال.

كان ملوك الشانج كما ذكرنا سابقا الكاهن الأعظم وهو الواسطة بين النـــاس



وروح العالم. وعاش ملوك الشانج في بيوت مهيبـــة وكذلك نبلاؤهم الذين ذهبوا لخوض الحــروب فـــي عجلات حربية تجرها الخيول كما تصـــف ملحمـــة هوميروس أبطالها وكانوا يدفنون في مقـــابر فخمـــة تظهر مدى الترف الذي عاشوا فيـــه يـــدفنون مـــع عجلاتهم الحربية وخدمهم.

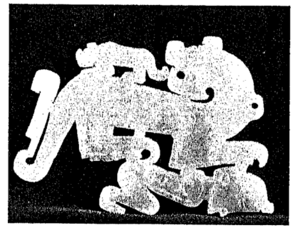
كانت الحروب مستمرة وقد مكنتهم العجلـــة الحربية والحصان مـــن تشـــر قـــوتهم العســـكرية والسياسية على شمال الصين تماما مثل ما حدث مع الدولة الحديثة في مصر القديمة فقد مكن دخول العجلة الحربية الى مصر أيضا المصريون من إقامة إمبراطوريـــة كبيرة.



كانت ثروة الملك والنـــبلاء تـــأتي مـــن احتكار صناعة البرونـــز وامـــتلاكهم للعجـــلات الحربية والوظائف الدينية للملك. تركزت ديانـــة الشانج على عبادة الأسلاف والأرواح الموجـــودة في المظاهر الطبيعية كالرياح والأرض. والإلـــه الأكبر لديهم كان يسمي " أبو الكائنات ".

وكانت الزراعة بطرق بدائية ولم يستخدم البرونز في صناعة الآلات الزراعية وإنما استمر استخدام المنجل ذي الأسنان المصنوعة من الحجر فـــي الحصـــاد وكـــانوا يقومون بجراثة الأرض باستخدام مجرفة أو مسحاة مصنوعة من الخشب.

وكانت الحرب والقنص من الامتيازات التي استمتع بهـا النـبلاء ويتـألف الجيش من الخيالة وعجلات الحرب والمشاة وكان هؤلاء من الفلاحين بينما الفرسان إلى النبلاء وقد ذكر جيشا يعد ثلاثـة آلاف رجل وفرقة من الخيالة تنقسـم إلى ثلاثة أقسام يضم كل منها مائـة فارس.

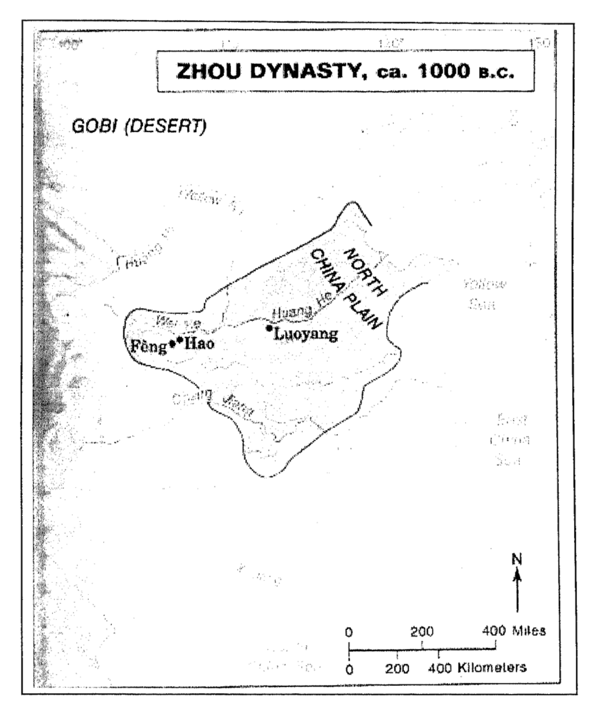


تعاطى النـبلاء والأفـراد العـاديين القنص في الأدغـال والتـي تحـيط بالأراضي المزروعة ويقومون به بجيش من المساعدين يقتلون أو يقبضون علـى النمر والفهد والهر البري والذب والثور الوحشي والفيل والكركدن والذئب والخنزير البري والضبع بالإضافة إلىطرائد اقل شراسة كالإبل والوعل والسعدان والأرانـب والعصافير.

وتبين الآثار القديمة وجود بعض الفنون التقنيـة فهـم يشـتغلون العظـم والعـاج ويستثمرون وينحتون اليشب (Jade) ويحفرون على درقة السلاحف وقرون وحيد القرن والعظم والعاج والنحاس والخيزران وعرفوا أيضا إذابة النحـاس وإعطائـه مختلف الهيئات.

أسرة التشو – العصر الإقطاعي

١١٢٢ – ٢٥٦ ق م



أسرة التشو ..... ١١٢٢ – ٢٥٦ ق م

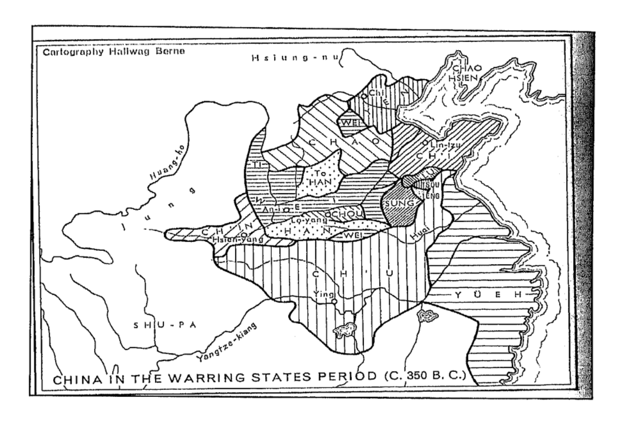
أسرة التشو – العصر الإقطاعي ١١٢٢ – ٢٥٦ ق م

حوالى في عام ١١٢٢ أو ١٠٢٧ قبل الميلاد استطاع قائد أو زعـيم قبيلـة التشو خلع حكم التشانج بزعم انه اخفق في تكريم وتشريف أرواح الأجداد وأعلـن زعيم التشو أن أرواح السماء أعطته حق الحلول محل الشانج. والتشو قبائل تعـيش على الحدود الغربية لدولة الشانج استطاعت أن تؤسس مملكة قوية بعـد انضـمام القبائل الصينية الاخرى وتعد أسرة التشو أطول أسرة حاكمة فـي تـاريخ الصـين (١١٢٢ – ٢٥٦ ق م).

لم يستطع ملوك التشو إقامة حكم موحد وإنما أقاموا نظام إقطاعي مثل نظام التشانج وقد كان النبلاء يملكون سلطة وراثية في الإقطاعيات وهم أيضـا مكلفـون بإمداد الملك بالإمدادات العسكرية. كان ملوك التشو الأوائل أقوياء قـادرون علـى إجبار الأمراء الإقطاعيين ويستطيعون صد هجمات البرابرة القاطنين علـى حـدود المملكة، إلا انه على اية حالة ورث الملك ملوك ضعفاء وتزايـدت قـوة النـبلاء واستقلالهم خلال القرن الثامن قبل الميلاد.

وقد ذهبت سلطة التشو الملكية إدراج الرياح بالكامل ٧٧١ قبل الميلاد عندما دمر تحالف بين النبلاء والبرابرة العاصمة وقتل الملك وقد هرب جزء من العائلـة المالكة شرقا نحو لويانج حيث استطاعت العائلة المالكة من مدً عمر حكـم التشـو خمسة قرون أخرى إلا أنهم لم يفعلوا شئ أكثر من أداء الطقوس الدينيـة الخاصـة بالدولة. استطاع سبعة نبلاء من الأمراء الإقطاعيين الأقوياء غزو جيرانهم الضعفاء وادعي كل منهم لقب " وانج " اى بمعنى ملك الذي كان يستخدمه ملوك التشو. بدأ كل منهم في إقامة سلطة مركزية مع إنهاء الحقوق الإقطاعية للتابعين له وسرعان ما نشبت الحروب بين الأمراء السبعة وقد امتدت هذه الفترة ما بين ٤٠٣ – ٢٢١ قبل

الميلاد. وسميت تلك الفترة باسم " عصر الدول المتحاربة ". إلى أن تقدم الحـــاكم " تشين " على أقرانه من الحكام السبعة وغزا كل أقرانه وأقام إمبراطورية موحدة على رأسها هو نفسه كحاكم مطلق.



CHINA IN THE WARRING STATES PERIOD (C. 350 B. C.)

رغم عدم الاستقرار السياسي في عصر التشو إلا انه لا يقارن بأي عصـــر آخر لاحق في التاريخ الصيني وذلك بسبب التقدم الثقافي والمادي. وهذه التطورات التي عاشتها الصين هي التي قادتها الى المقارنة بين حضارتها والعظيمـــة وحيـــاة القبائل الرحل خلف الحدود وقد كانوا يسمونهم " الكلاب البربرية ".

خلال القرن السادس قبل الميلاد عرفت الصين أو تحديدا دولة التشو الحديد والإنتاج الكمي لصب مصنوعات من الحديد وذلك خلال أواخر عصر التشو علمـــا بان محاولات صب الحديد الناجحة لم تظهر في أوروبا قبل العصور الوسطى.

جعلت الأسلحة المصنوعة من الحديد الحروب أكثر كفاءة وفعالية كما أن المحراث ذات السلاح المعدني المصنوع من الحديد مع تطور نظم الري زادت من الرقعة الزراعية ومن ثم زادت من الإنتاج الزراعي والذي أدي بدوره الى زيادة السكان.

كما تم شق قنوات مائية تسهل عملية التبادل التجاري ونقل السلع لمسافات بعيدة في الإمبراطورية ومع زيادة التجارة والإنتاج الزراعي زادت الثروة وظهرت تبعا للثروة طبقة التجار والفنانين. وتطفو الزراعة على كل نشاط آخر وأصبحت المنطقة الواحدة تنتج كل ما يحتاجون إليه ومع تطور الجماعات الريفية كثر عدد الأصناف المزروعة واتسعت أعمال قطع الغابات مع تهيئة الأرض للزرع بواسطة الماء والنار وتنضد المزروعات حول الأرض المرتفعة التي يسكنونها تجاور البيت المزروعات الأكثر قيمة بستان الخضار ثم الأشجار المثمرة وعلى بعض المسافة حقول النباتات الفسيحة وأهمها القنب ثم الخضار والحبوب وفي أقصى جهات الأرض المروية حقول الأرز.

وقد أضافوا إلى مزروعات العهد السابق (الحنطة والشعير والأرز) الذرة والكوسة والخيار واللوبياء والحمص وهم يعرفون الاحتفاظ بها يابسة والبطيخ والعنب البري والبصل والثوم وبعض أنواع الأعشاب التي يستعملونها كتوابل ، وتنمو في البساتين شجرة التوت وأنواع عدة من الأشجار المثمرة (كأشجار الكمثرى والكرز والمشمش والخوخ والسفرجل والكستناء) وقد اعتنوا عناية خاصة بشجرة التوت وغرسة القنب وتستثمر شجرة التوت لتربية دودة القز التي تغذي خيوطها المستخرجة أيام الخريف أعمال النسج طوال أسابيع الشتاء وهم ينسجون

القنب في الربيع، ويستثمرون أيضا في بعض أصناف أشجار الغابات (كأشجار البندق والجوز والسنديان والدردار).

وتعود ملكية الأرض للسيد ويستغل الفلاحون هذه الأرض لصالح المتبوع واستنادا للتقاليد الصينية التي تعكس كما يبدوا الهدف الاعلى يوزعون الحقول على الفلاحين فتنال كل أسرة حقلا. ولكل من هذه الحقول مساحة مربعة محددة تؤلف تسعة منها مجموعة واحدة، وتستثمر ثمانية من كل مجموعة لإعاشة ثماني عائلات إما منتوج الحقل التاسع (ويعتبر من الممتلكات العامة) الواقع في وسط الحقول الاخرى والذي تعتني به معا العائلات فيخصص للملك أو للسيد ويعتبر محصوله كضريبة.

وفي الصين يسكن الفلاحون الأراضي المزروعة في أكواخ مؤقتة، وعند اقتراب الحصاد يشددون الحراسة ضد السارقين والخنازير البرية والطيور.

يحتل النسج الذي تقوم به النساء المركز الأول فيصنعن أقمشة حريرية وقد يطرزنها، كما استثمروا الجلود أيضا وكذلك الأملاح والمعادن التي أصبحت فيما بعد أساس ثروة بعض المناطق خاصة مقاطعتي تسين ين و تسين وقد ازدهرت تجارة هذه المعادن.

لم تتسع التجارة إلا في وقت لاحق ومن المؤكد وجود تجار أثرياء مصاحبين للنبلاء والإقطاعيين ويرتدون الثياب الحريرية ويتنقلون في عربات ويزينها الذهب واليشب. وجرى التعامل التجاري بواسطة نقد كان في أيام التشانج عبارة عن نوع من الأصداف ثم أصبح قطعا عظيمة الى أن عدا من النحاس وكانت وحدة النقد أولا الـ " وان " نحو ثلاث اوان ثم أيام التشاو الشرقيين " الكين " نصف

أوقية وجعلوه سبائك تزن كل منها عشرة أوقيات ولم يسكوا النقود الأولى بأشـــكال مختلفة كالسيف أو الجرس إلا في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

ومع نمو التجارة واطرادها غدت مشكلة إيجاد طرق المواصلات وصيانتها هم الإدارة الأكبر، ولا تسير فقط على الطرق قوافل التجار بل أيضا هناك العربات التي جهزت خصوصا لنقل الجمهور. تظهر أن المجتمع أيام حكم التشاو الغربيين لم يقسم فئات محكمة الوضع، وهناك طبقتان كبيرتان تضـــم أفـــراد المجتمـــع طبقـــة الفلاحين السفلي وطبقة النبلاء العليا، وسرعان ما تشعبت الطبقتان في المقام الدون نجد العبيد والفلاحين ثم نرتفع تدريجيا الى العمال الصـــناعيين والتجـــار فالأدبـــاء فالموظفين فالوزراء فالموظفين الكبار فالنبلاء فالأمراء حتـــى الإمبراطـــور الـــذي يسيطر على الهرم الاجتماعي. تقسم ممتلكات الملك إلى مقاطعات (هيانج) يحكـــم لكلا منها قائد كبير (ني فو) ويتجزأ هذه المقاطعات بدورها إلى محافظات فنواحي فمديريات فمدن ثم الى قرى يتولى شئون كل منها موظفون تقـــل رتـــبهم بصـــورة تدريجية.

يتألف الجيش من رجال تجبر الأسر على تقديمهم (وعلى كل أسرة أن تقدم محاربا) ويبلغ عدد الجيش ١٢٥٠٠ جندي يقسمون خمسة فيالق ويجزأ الفيلق إلـــى خمس كتائب والكتيبة إلى خمس فرق وتوافق كل منها منطقة، وللممتلكات الملكيـــة ستة جيوش ولا يحق للأتباع ألا حشد ثلاثة جيوش أو جيشين أو جيش واحد، ويشمل كل جيش علاوة على فرق بها عربات قتال تجرها الخيول.

سلالة التشو من (القرن١١ –٢٥٦ ق م) وهي الاطول عمرا فـــي دول الصينولكنها تنقسم الى فترات تاريخية داخلية

تشو الغربية(القرن ١١ -   ٧٧١ ق م)ثم نقلت العاصمة شـــرق النهــر الأصفر بعد احتلال قومية من البدو العاصمةفظهرت الى الوجود التشو الشرقية بعــد عام ٧٧١ ق م .

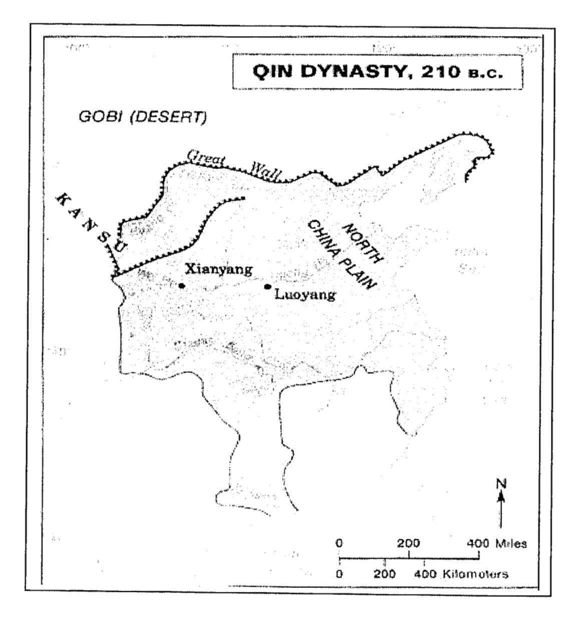
تنقسم التشو الشرقية بدورها الى فترتين

فترة الربيع والخريف(٧٧٠-٤٧٦ ق م)

فترة الدويلات المتحاربة (٤٧٥-٢٢١ ق م)

التشين أول إمبراطورية

أسرة تشين ٢٢١ – ٢٠٧ ق م



أسرة تشين.... ٢٢١ – ٢٠٧ ق م

التشين أول إمبراطورية

أسرة تشين ٢٢١ – ٢٠٧ ق م

ظل أباطرة التشو أباطرة بالاسم فقط لعدة قرون وتجاهل ملوك الولايات أو بالاحرى أمراء الولايات ادعاء أباطرة التشو بالسيطرة على الصين.
وفي عام ٢٥٦ قبل الميلاد توفي أخر إمبراطور من أسرة " تشو الحاكمة "، تمت استعارة اللقب مرة ثانية في ٢٢١ قبل الميلاد وذلك من خلال الملك شنج ملك التشين والذي تلقب بلقب شين – هوانج – تي ومعناه الإمبراطور الأول كما يترجم.

موحد الصين تشين شين – هوانج – تي ٢٤٧ – ٢١٠

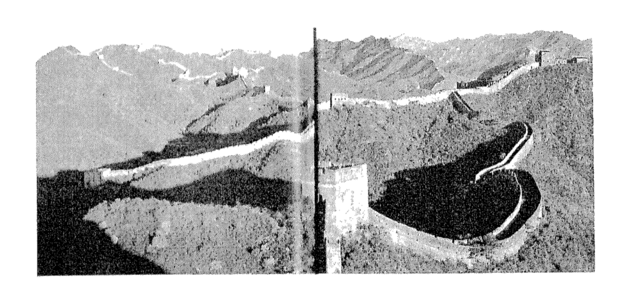
أصبح شين هوانج تي ملك الصين عام ٢٤٧ وهو في عمر الثلاثة عشر عام، وعندما بلغ عمره الخامس والعشرون بدأ في توسيع حدود الصين وفيما بين ٢٣٠ – ٢٢٠ قبل الميلاد تمكن من هزيمة وإلحاق كل الممالك الصينية الاخري، ثم بدا في تنظيم الإمبراطورية.
فكان أول ما فعله أن وضع اسر النبلاء القدامى وقد بلغ عددها ١٢٠ ألف أسرة بالقرب من العاصمة حتى يكون الجميع تحت السيطرة والمراقبة الكاملة. ثم كان أن أمر كل المدنيين بتسليم أسلحتهم للدولة وذلك لضمان عدم حدوث حركات تمرد مسلحة، ثم تم وضع قانون موحد للدولة بكاملها بدلا من مجموعات القوانين المحلية وقد كان القانون الجديد مفصل لكل شئ حتى قيل انه مثل الشبكة التي لا تخرج منها حتى اصغر سمكة.

تم تقسيم الدولة الى ٣٦ مقاطعة كل مقاطعة تمثل وحدة إدارية يطمس الوحدات الإقطاعية التقليدية ولتسهيل السيطرة المباشرة من قبل الإمبراطور أو

معاونيه ،وحتى يتم تدمير مصدر قوة الطبقة الأرستقراطية ولكـــي تســمح وكـــلاء الإمبراطور بأخذ ضرائب على الحصاد من كل فلاح تمت عملية تحويل الأراضـــي إلى ملكية خاصة للفلاحين ويكونون مسئولين عن ضرائبها وهو النظام الذي اقــره ملك التشين " شانج " قبل ذلك بقرن، وكان متبع في إمارة التشين إلا انه أصبح الآن متبع في عموم الإمبراطورية.

قام هوانج – تي أيضا ببناء شبكة من الطرق تربط أجــزاء الإمبراطوريـــة وتنشئ نظام بريد يسهل انتقال المعلومات كما قام بتحسين أحوال الزراعة من خلال بناء شبكة من القنوات تعميق قنوات الأنهار لتشجع على نقل الماء إلى مناطق أكثر. وعين الإمبراطور ثلاثة مسئولين كبار في كل حي من الأحيـــاء حـــاكم عســكري مختص بالشئون العسكرية في الولاية وحاكم مدني ومستشار مالي، وهم مســئولون مباشرة أمام الإمبراطور شخصيا وهو نظام معمول به في إمبراطوريـــات آشـــور وفارس. كما وحد نظام الموازين والمكاييل والنقد الأمر الـــذي أدى إلـــى ازدهـــار التجارة في الإمبراطورية بأكملها.

كما قام الإمبراطور بعمل أكثر الأعمال خلودا في الصين وهو باب الأشغال العامة التي يستفيد بها الشعب باكلمه وهو إصلاح الأسوار التي بقيت من إمـــارات الإقطاع الشمالية وربطها جميعا ليشكل منها سور واحد وهو المعروف لنا باســـم " سور الصين العظيم " وهو يمتد من البحر حتى وسط آسيا لمسافة تزيد عن ١٤٠٠ ميل.



وقد قيل انه تم بناؤه بالعمل الجبري حتى قيل أن كل حجرة منه تكلفت حياة إنسان، وفي عام ٢١٤ قبل الميلاد عين شيه هوانج تي جنرال للإشراف على بناء سور الصين العظيم، واجبر العمال على بناء هذه الأسوار وتم نقلهم من أنحاء الإمبراطورية على موقع العمل من بين هؤلاء العمال كان المجرمين والدارسين سيئوا الحظ ممن كانوا في دائرة الشك بأنهم معارضون للحكومة. لقد مات ٣٠٠ ألف منهم بالمئات من صعوبة العمل أو من غارات البدو، ويصل سمك السور ٣٠ قدم وبارتفاع خمسين قدم، وكانت المراقبة تبنى في المداخل المنتظمة بطول الحائط.

ويمكن مشاهدة بقايا سور الصين العظيم شمال العاصمة بكين، وأعيد بناء السور في القرن الخامس عشر في حكم أسرة منج ثم على يد جيش التحرير الشعبي ومن الأعمال السلبية لأول إمبراطور للصين الموحدة حرقه للكتب كونفوشيوس وطلابه من الفلاسفة الذين كانوا يدعمون الأسرة الحاكم السابقة والنظام الإقطاعي.

استمر حكم تشين شيه – هوانج – تي ما يزيد على العقد بقليل، رغم أن الإمبراطور أرسل البعثات خارج الصين بحثا عن إكسير سحري يطيل العمر إلا انه توفي ورغم سعيه الدؤوب هو ورئيس وزراء من طائفة القانونيين للقضاء على نفوذ

كونفشيوس إلا أن الكتب التي أمر بإعدامها هي التي أصبحت كتبا مقدسة قيمة وان يستشهد الناس في سبيل المحافظة عليها، ولكن تبين أن قوة اللسان أعظم من قوة السنان.

لقد اخبر السحرة الإمبراطور عن الجزر الثلاثة الجميلة في البحار الشرقية حيث لا وجود للموت أو الشيخوخة لان سكانها اكتشفوا إكسير الخلود، وبإصرار الإمبراطور على إيجاد هذه الجزر الثلاثة أرسل أسطولا بحريا من عدة سفن محملة بالهدايا الثمينة وبعد فترة عاد كابتن هسو ليخبر الإمبراطور انه قابل بالفعل واحدا من هؤلاء الخالدين إلا انه رفض أن يشاركه في الإكسير لان الهدايا كانت رخيصة جدا، وقال له الكابتن ماذا تريد؟ رد الخالد شبان وشابات وحرفيين من كل نوع ومن ثم فقد اقلع الكابتن مرة ثانية وعلى متن سفنه ثلاثة آلاف شاب وشابة من رعايا الإمبراطور أبحروا شرقا ويقال انهم لم يعودوا ثانية ، ربما وجدوا نافورة الشباب ويقال أنهم استعمروا اليابان. وهناك اثر في اليابان يحمل كتابات صينية لكاهن طاوي يدعي هسو- فو ممن كانوا على هذه الرحلة، وقد توفي هناك عام ١٧٩ قبل الميلاد.

ومن ثم هناك من يدعي أن الإمبراطور أقام في اليابان حكم عرف باسم " مملكة التشين ".

كانت النصب التذكارية والنقوش التي تمجد أعمال شيه - هوانج - تي تنتشر في أنحاء الإمبراطورية على الآثار والمنحدرات الصخرية والصخور مثلما فعل أشوكا في الهند.

ورغم أن الإمبراطور أمر بإحراق كتب الفلاسفة الكونفوشيوسيين إلا انه ابقى الأعمال التي تخص الطب والزراعة والقانون وقد نشرها في أنحاء المملكة واحتفظ بنسخ في أرشيفه والحق انه لم ينجح في تدمير هذه الكتب بالكامل.

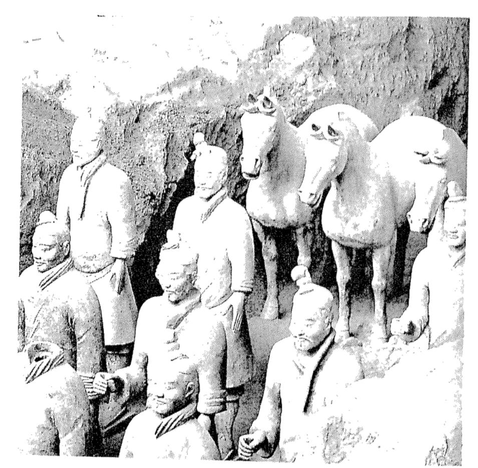
أزدهرت الفنون في عصر شيه هوانج – تي وقد ظهر أسلوب جديد في أعمال البرونز الفنية يختلف عن أسلوب التشو وقد تميز هذا الأسلوب بالحركة وبعض التصميمات بهذا الأسلوب الجديد كانت تشبه تصميمات البدو الرحل خلف سور الصين العظيم، ويرى بعض المختصين في الفنون أن أفكارا إغريقية في تصميم البرونز تم تقليدها من جانب الاسكيذيين القاطنين بسهول الاستبس في وسط آسيا وقاموا هم من جانبهم بتوصيل هذه التصميمات إلى فناني التشين في الصين عن طريق الرحل.



وقبل أن ننهي حديثنا عن تسين – تشي – هوانج نقول انه وصل بفتوحاته إلى كانتون جنوبا وقد وطن مئات الألوف من المهاجرين الصينيين في أنحاء البلاد ومن أعظم مهام الإمبراطور محاربة الهيونج – فو الذين اشتهروا باسم الهون فقد كان الغزاة يفدون من منغوليا ومن سين كيانج وقد اتحدوا اعتبارا من القرن الثالث

ق م إلا أن الإمبراطور بدد شملهم إلى حين. توفي الإمبراطور ٢١٠ قبل الميلاد ودفن في قبره الذي بناه لنفسه على هيئة تل كبير وبالقرب منه ثلاثة جبانات ضخمة امتلأت بتماثيل تيراكوتا بالحجم الطبيعي للحرس الإمبراطوري، وقد احتاج بناء هذه المقبرة ومحتوياتها من تماثيل التراكوتا إلى جهود ما يزيد على نصف مليون عامل وفنانون مهرة.

اكتشف منها ٧٠٠٠تمثال فخاري للجنود و٦٠٠خيل فخارية بالحجم الطبيعي وأكثر من ١٠٠ مركب حربي وكمية من الاسلحة ويعتبر حجم الاكتشاف ربع المقبرة.

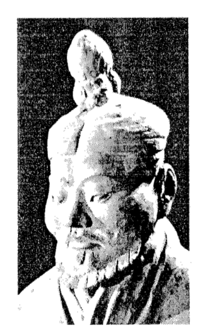


خلف هذا الإمبراطور القدير ابن لا يمت للكفاءة بصلة وقد تظاهرت ضده عناصر كثيرة من الأمة التي جمعها سلفه فلم يكن الأمر فقط في معادة النبلاء

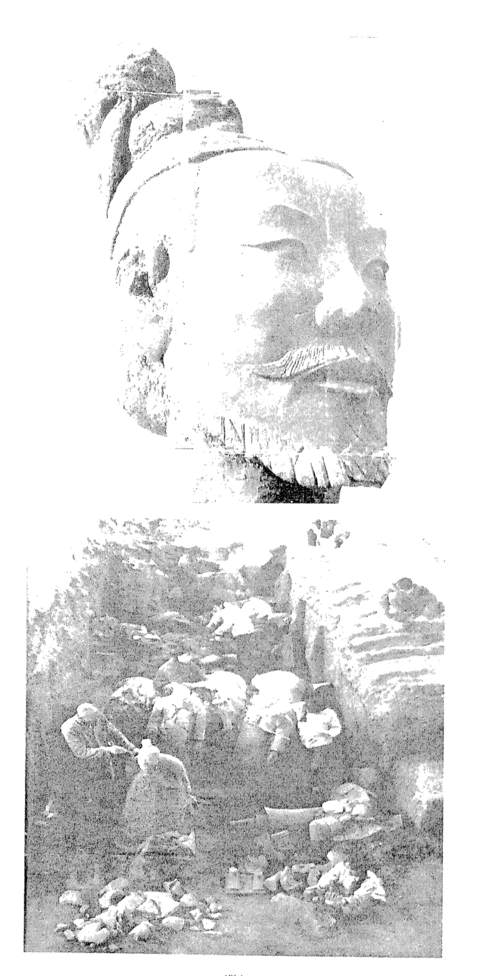
الإقطاعيين، ولا طلاب الفلسفة الكونفوشيوسية ولكن أيضا انضم لهـم مجموعـات كبيرة من الفلاحين الذين اكتووا بنار الضرائب الباهظة.

وبوصول عام ٢٠٦ ق م اختفت أسرة الإمبراطور الأول للصين الموحـدة وهي أسرة تشين والتي ادعي الإمبراطور نفسه أنها ستعيش لعشرة آلاف جيل، لكن الإمبراطورية التي خلفها تشين عاشت لأكثر مـن ٢٠٠٠ عـام وهـي المؤسسـة السياسية الأطول عمرا على مدار التاريخ.



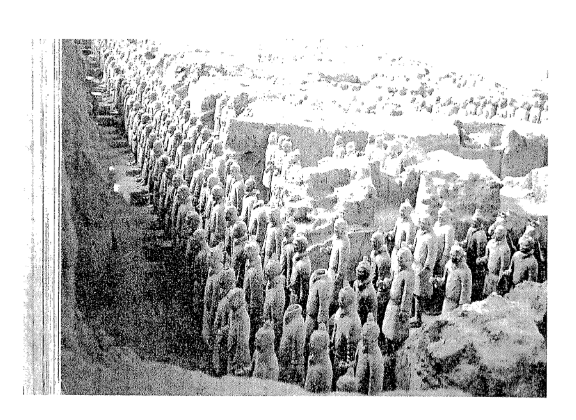








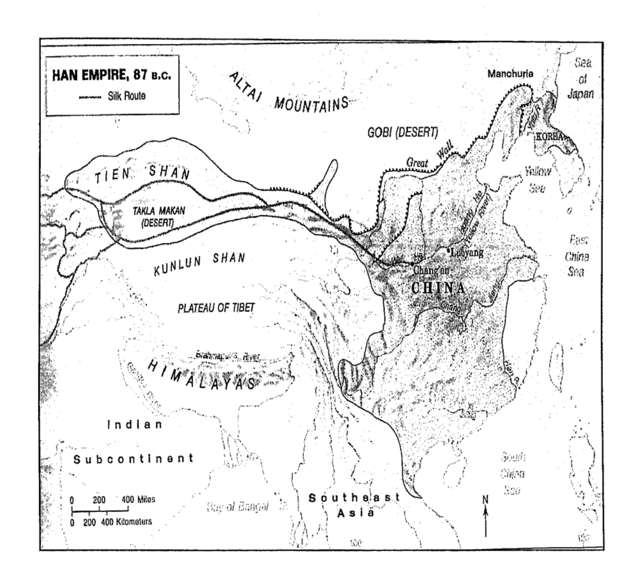






أسرة الهان

تماسك الإمبراطورية وصلابتها



أسرة هان ٢٠٢ ق.م –٢٢٠ م

أسرة الهان: تماسك الإمبراطورية وصلابتها

استمرت فترة أسرة هان ما يقرب من أربعة قرون وتنقسم الى هان الغربية أو هان الأولى من ٢٠٢ قبل الميلاد وحتى ٩ ميلادية، ثم أسرة هان الشرقية أو هان المتأخرة من ٢٥ – ٢٢٠ ميلادية.

عاصرت أسرة هان الغربية منذ بدايتها مراحل نمو الإمبراطورية الرومانية ففي عام ٢٠٢ ق م انتهت الحروب اليونانية الثانية بمعركة زاما التي تـم تـدمير قرطاجنة أثناءها وأصبح غرب البحر المتوسط خالصا للفيالق الرومانية والأساطيل الرومانية حتى حكم القيصر اوكتافيوس (أغسطس) المشهور بحروبه مع مـارك انطونيو وكليوباترا. وقد انتهى حكم هذه الأسرة بفوضى وانكسار في عقب وترتيب أباطرتها، لذلك نجد هناك فترة انقطاع حكم فيها أسرة شـين فيمـا بـين ٩ – ٢٥ ميلادية ، ثم تأتي أسرة هان الشرقية في الفترة ما بين ٢٥ الى ٢٢٣ ميلادية وهـي معاصرة للإمبراطورية الرومانية في عنفوانها.

ويفخر الصينيون حتى اليوم بإمبراطورية الهان حتى أنهم يطلقـون علـى أنفسهم اسم " أبناء الهان " أو " رجال الهان " والاسم مأخوذ من نهر هـان احـد فروع نهر يانجتسي حيث بنت الأسرة الحاكمة عاصمتها شانجان.

بعد أن سادت الفوضى البلاد بعد إنتحار ابن تسين ش هوانج نـادى احـد زعمـاء العصابات ليو بانج بنفسه إمبراطورا بعد أن استولي على إمارة الهان وبدأ بذلك حكم أسرة بلغت أمجادها ذروة المجد الصيني في العصر القديم.

وو- تي إمبراطور الهان ١٤٠ - ٨٧ ق م

اعتلى العرش وهو في سن السادسة عشرة وحكم ٥٣عام وقد عرف بلقب الإمبراطور الشجاع Martial emperor وهو يحاكي الاسكندر في شجاعته وإخلاصه في تحقيق الهدف الذي يريد تحقيقه. وقد كان إداري ناجح له من الذكاء أن يحيط نفسه بمستشارين على درجة عالية من الحكمة والوعي استفاد بنصائحهم أعظم فائدة.

أثناء حكمه تم كسر شكيمة قبائل الهيونج- نو أو الهون الذين ارتعدت أوروبا منهم تحت قيادة زعيمهم اتيلا في عصور لاحقة، وتقد الصينيون الى وسط آسيا ليشكلوا دائرة تحيط بالبدو الرحل، وهذا التوسع القوي في مناطق صحاري وسط آسيا الشاسعة والقاحلة والجافة قاد الى بناء طريق قوافل بطول خط الواحات الممتدة من الصين حتى نهر jaxartes وقد أصبح هذا الطريق هو الطريق المعروف باسم " طريق الحرير " الشهير تاريخيا.

أستند الإمبراطور " وو " الى أساليب غير مباشرة ولكن شديدة الوطأة للقضاء على النبلاء رويدا رويدا والاستعاضة عنهم برجال قانون ينتمي معظمهم الى عامة الشعب وقد ثبت بواسطتهم سلطة الحكم المركزي وقد اتبع سياسة الحكم المطلق وقد نشأت عن هذه التدابير طبقة جديدة من الأشراف وازدهرت الحضارة الصينية ازدهارا عجيبا.

اجرى " وو تي " إصلاحات نقدية وعقارية فقد رفع الضرائب على الفلاحين ولكن ليس كبار الملاك فهؤلاء ظلوا معفيين من الضرائب وزاد من كمية العمل الإجباري والخدمة العسكرية التي كان على الفلاحين أن يقدموها للدولة، وأثناء حكم " وو- تي" استعمرت الصين منشوريا وكوريا والحقوا جنوب الصين بالإمبراطورية

كما مارسوا سيادة على أجزاء من الهند الصينية، ولكي يمكن التحكم بهذا الكم الهائل من الأرض راقب الهان نشاط الملوك التابعين وتم إعادة إصلاح سور الصين العظيم باستخدام قوة من ١٠٠ ألف رجل.

وقد استغلت الدولة في أسرة هان المبكرة أو الهان الغربية مناجم الملح والصناعات المعدنية من برونز ونحاس كما استغلت أيضا تربية الخيول والأغنام، وهذه الأنشطة جميعها كانت تستخدم عمالة العبيد في الضياع الكبيرة، وقد كان اقتناء العبيد يتم أما بصورة خاصة فردية أو بشكل قومي تقوم به الدولة.إلا أن تعداد العبيد ككل لم يكن ليزيد عن جزء كم الخمسين من التعداد العام للسكان.

ولم تعد صناعات الحديد والملح في أيدي الخاصة بعد أن حولها وو- تي الى يد الحكومة كمصدر جيد للدخل. إذا ما نظر احدهم الى الأوضاع في الشرق عام ٣٠ قبل الميلاد لوجد أن الدولة السلوقية في بلاد الرافدين وسوريا قد اختفت من الوجود وقد أصبحت كل من بارثيا وبكتيريا وتقوم بارثيا بالقتال ضد روما في محاولة للسيطرة على بلاد الرافدين وفي شمال الهند نرى ولايات صغيرة متحاربة يحكمها هنود وإغريق ورحل من الساكا القادمون من استبس وسط آسيا، وأتحدت الهند في مملكة اندهارا بالإضافة الى ولايات صغيرة في جنوب الهند، إما إذا ولّى وجهه نحو الصين فسيجد مملكة متحدة نامية تتوسع غربا وشمالا وجنوبا.

لقد أدت غزوات " وو- تي " الى أزمات مالية فمع زيادة التكاليف ازدادت الضرائب ومع زيادة إعياء الفلاحين مالت الأمور الى الثورة والتمرد وكانت النتيجة النهائية هو ازدياد اعتماد الحكومة المركزية أكثر وأكثر على القادة العسكريين المحليين وملاك الأراضي لقمع الثوار والمتمردين من العامة وقد أعطى هذا الأمر للقادة وكبار الملاك نوع من الوجاهة والسلطة على حساب السلطة المركزية، وهذه

الدورة من الصعود ثم الانهيار في الأسرة الحاكمة الصينية رصدها المؤرخون الغربيون " دورة الأسرة الحاكمة " ممن درسوا التاريخ الصيني.

وقد حدثت بالفعل اضطرابات بعد موت " وو- تي" إلا أن احد حفدته " سيوان – تي " ٧٣ – ٤٩ ق م تابع الفتوحات الصينية في التركستان الصيني واستولى على النقاط الرئيسية في حوض تاريم وقضي لقرون عدة على القبائل الهونية في منغوليا ولكن أعقبت هذا العهد فوضي شديدة كادت تودي بحكم الهان وتقضي عليه نهائيا وتعاقب على العرش في الفترة الواقعة بين ٤٨ ق م حتى سنة ٩ ق م ثلاثة ملوك تحقق معهم انحطاط ووهن سلالة الهان المبكرة.

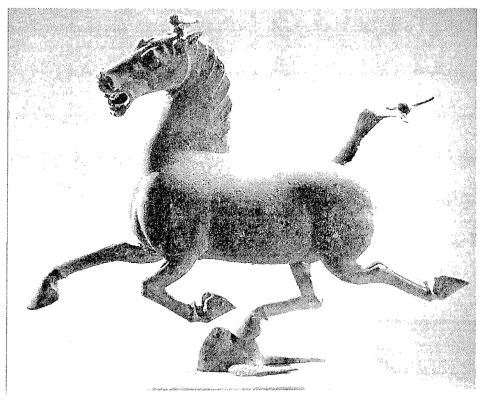
فترة شين أسرة وانج مانج ٩ – ٢٣ م

في عام ٩ ميلادية انقطع حبل أباطرة الهان الغربيين باغتصاب وانج مانج للحكم والعرش الذي يقال انه يمت بصلة القرابة الى عائلة إمبراطورية من خلال عمه أو خاله أصبحت في فترة ما إمبراطورية.

قام وانج مانج بعدة إصلاحات اجتماعية فقام بتأميم الأراضي وإعادة توزيعها على الفلاحين الذين يقومون بزراعتها ومنع بيعها أو التصرف فيها أو شراؤها، كما حارب الرق الذي تفشى في البلاد كما حاول أن يتغلب على التضخم الذي ازداد زيادة ضخمة منذ أن بدأ وو- تي في خفض قيمة النقد وغشه عندما وجد نفسه في مشاكل مالية.

كما حاول السيطرة على الأسعار واحتفظ باحتكار الدولة للملح والحديد بالإضافة لامتلاكها للمناجم وإشرافها على تجارة الخمور، وحاول حماية الزراع والمستهلكين من جشع التجار بتحديد أثمان السلع، وكانت الدولة تشتري ما زاد على

الحاجة من الحاصلات الزراعية وتبيعها إذا عزت وغلا ثمنها، وكانت الحكومة تقدم القروض بفائدة منخفضة لكل مشروع إنتاجي.



أخفقت خطط وانج الإصلاحية رغم سلامة نيته فقد ظلت الكوارث الطبيعية كالفيضان والجدب تعطل مشروعاته الاقتصادية وبدأت الفتن تطل برأسها واجتمعت كل الطوائف تزعمت أسرة ليو الفنية ثورة عامة اندلع لهيبها في البلاد واستولت على شانج- آن وقتلت وانج مانج وألغت جميع إصلاحاته، وأخذت الشعوب الخاضعة لسلطان الصين تشق عصا الطاعة، واخذ برابرة الشيونج- نو أو الهون يجتاحون الولايات الشمالية.

كان وانج مانج مكروها من كل الصينيين من ذوي الأملاك وارتفع غضب الفلاحين بسبب احتكار الدولة للغابات ومصايد الأسماك، بالإضافة الى ذلك فاض نهر الهوانج هو وغمر مناطق شاسعة في الصين الشمالية، وتبع ذلك مجاعات بلغ

من شدتها أن أصبح كثير من المزارعين من آكلي لحوم البشر، وانتشرت العصابات وتميز بعضهم برسم حواجبهم باللون الأحمر. كـان الفقـراء يـدعمون أصـحاب الحواجب الحمراء وبلغ من قوتهم أن سيطروا على الوادي الشرقي للهوانج هو.

وأخذت قبائل الحدود تسيطر على الأقاليم الخارجية وزاد اثنان من الهان من حدة الصراع والتمرد، وفي عام ٢٢ ميلادية هاجموا العاصمة الإمبراطورية شانجان وكما نرى في مشهد " ماكبث " الأخير هجر وانج مانج كل أتباعه وتركوه وحيدا وتم قطع رقبته وهو جالس على العرش بكامل زينته. إما الأمير الذي قضي على وانـج مانج أحاطت به وحاصرته جماعات الحواجب الحمراء وقتلته هذه الجماعات وهـي تنهب العاصمة الإمبراطورية شانجان.

دولة هان الشرقية ٢٥ – ٢٢٠ ميلادية

في العام ٢٥ ميلادية نصب الأمير الذي ينتمي لعائلة هان نفسه إمبراطـور على البلاد بعد أن تمرد على وانج مانج. وقد افتتح ملكـه بالانتصـار علـى ذوي الحواجب الحمراء وذلك بسحق قوة من الرجال والنساء ذكرت التقارير أنها وصلت الى ٨٠ ألف رجل وامرأة، وقد ذبح الآلاف وتم ضم ذوي القوة ممن خرجوا أحياء من المعركة وإلحاقهم بالجيش الإمبراطوري، وتم تغير العاصمة من مدينة شـانجان الثائرة لعاصمة التشو القديمة لو– يانج في هونان.

جعل الإمبراطور وو– تي من الكونفشيوسية ايدولوجيا للدولة وقد أصبحت الكونفشيوسية خلال فترة حكم الهان الغربيين مقبولة من الناس ومن الدولة، وبمقارنة طلاب الكونفشيوسية عام ٨٤ قبل الميلاد الذي كان مجرد خمسون طالبا فقط والذي أصبح فيما بعد ٣٠ ألف في عام ١٧٠ كما أصبحت القرابين تذبح لتكريم كـونج–

فو-تسه وأصبح يعرف بلقب السيد، وشكل طلاب وفلاسفة الكونفشيوسية البيروقراطية الوليدة التي اعتمدت عليها إدارة الدولة تحت سيطرة الإمبراطور. كان تأثير الكونفشيوسية على الصين تأثيرا كبيرا فقد وحدت الصين فكريا وقد أثبتت حوادث التاريخ هذه الوحدة فقد ثبتت هذه الوحدة كيان الدولة خلال فترات الفوضى السياسية ولم يحقق شئ مماثل في الغرب.

كانت سياسة الهان الشرقيين سلام وإعادة بناء للدولة، تحولوا في البداية عن طموح إعادة الغزو للممتلكات الإمبراطورية التي فقدها العرش ولكن مع ثبات الأوضاع السياسية الاجتماعية ومع التئام جراح الحروب الأهلية، عادت للظهور الرغبة في العودة للغرب ولم يكن الأمر من جانب الدولة متعمدا ولكنه بدأت المبادرة على يد بان تشاو وهو القائد العام الذي أرسله الإمبراطور الى الغرب من عام ٧٥ حتى ١٠٢ ميلادية، وهو من أسرة متميزة فأخته اكبر أدبية صينية في عصرها وأخيه بان- كو مؤرخ متميز، وقد مد بان تشو التأثير الصيني نحو سينكيانج التي فرض الحماية الصينية عليها وهي التي نشأ بها أول أسلافهم قبل ذلك ببضعة أعوام.

وفي عام ٩٧ أرسل سفارة لفتح العلاقات الدبلوماسية مع البارثيين في بلاد فارس ومع الإمبراطورية الرومانية وقد استقبل البارثيون هذه السفارة بترحاب لكنهم أوصوها بعدم التوجه ابعد نحو الغرب وان يتركوا فكرة الوصول الى الرومان. بذلك يكون البارثيين قادرين على الاحتفاظ بمكانهم كوسطاء على طريق التجارة بين الصين وعالم البحر المتوسط.

وفي الجنوب تحدد الحدود نحو الهند الصينية الى تونجكين واتام الشـمالية كما حدث في أسرة التسين السابقة وقد تقبل السكان المحليون تـدريجيا الأسـاليب الصينية والثقافة الصينية.

انهيار أسرة الهان الشرقية

بعد عام ١٠٦ ميلادية احتل العرش مجموعة متعاقبة من الأباطرة الضعفاء كانوا ألعوبة في أيدي عائلاتهم وزرائهم. كانـت البدايـة مـع عـائلات زوجـات الإمبراطور ثم تحول الأمر الى تحكم الطواشي أو خصيان الحريم، جاهدت أسـرة الهان الحاكمة للتخلص من هذه العلل التي تقضي علـى الممالـك العظيمـة إلا أن الأباطرة صغار السن عديمي الخبرة كانوا في النهاية ضحية لانقلاب القوة والحكـم من بين أيديهم لأيدي قادة الجيش بعد أن ظهرت ملامح انهيار الأسرة بدءا من ثورة الفلاحين المسماة باسم طائفة " أصحاب العمائم " وقد جمعتهم أسرة تشانج لإثـارة الفتن. وقد تم القضاء على هذا التمرد بتضامن جهود كل القوى السياسية والعسكرية للإمبراطورية ثم تحول الكفاح بعد ذلك الى قادة الجيش المختلفون، وفي عـام ١٩٠ أصبحت السلطة في يد ديكتاتور شديد العنف باسم تونج تشو الذي اغتيل عام ١٩٣.

انتقلت السلطة أو بالاحرى الصراع على السلطة بين اثنين متنافسـين لـم يستطع أي منهما أن يحصل على السلطة خالصة له وحده وهم الجنرال تساو تسـاو والطالب أو مدعي الحق بالعرش ليو باي وهو ذو صلة بعيدة بالبيت الإمبراطوري أو عائلة الهان.

وفي عام ٢٢٠ استطاع ابن تساو تساو طرد الهان وإنشـاء أسـرة الـوي الحاكمة وعاصمتها في لو- يانج، واتخذ من ليو باي نفس الخطوة وأقام نفسه حاكما

على سشوان حيث أوجد أسرة الشوهان الحاكمة، وفي نفس الوقت فان سن شوان حاكم الجنوب (الذي كان في هذه الفترة شبه مستعمرة قليلة السكان) باتخاذ خطوة تنصيب نفسه إمبراطور على الجنوب وإيجاد أسرة حاكمة جديدة باسم أسرة " وو ".

بهذا تداعى حكم أسرة الهان تحت وطأة المؤامرات وضربات الهون وكونت العشائر الطاوية مجتمعات محكمة التنظيم انتهت الصين الموحدة الى ثلاثة ممالك السابقة الذكر. انتهت فترة الممالك الثلاثة عام ٢٦٥ ميلادية أي أنها استمرت ٤٥ عام فقط، ولكن يأتي السؤال لماذا كانت أسرة الهان فخر الصينيين حتى أنهم لا يزالون يدعون أنهم " هان جن " أي أبناء الهان؟

خلال فترة حكن الهان بدولتها الأولى والثانية أو الهان الشرقية والهان الغربية أصبحت الصين هي الصين سياسيا وجغرافيا وثقافيا وأصبحت الصين بشخصيتها المميزة كما وضعت حدود الإمبراطورية الصينية التي ستصبح فيما بعد دولة الصين، صحيح أن بعض أجزاء هذه الإمبراطورية أو أراضيها فقدتها الصين إلا أنها بعد فترة استعادت هذه الأراضي وأعادت تجميع بلاد الصين.

كما توحدت الصين ثقافيا واتخذت الدولة من الديانة الكونفشيوسية أيديولوجية خاصة وتقبلت الدولة فكرة أن يكون الإمبراطور مفوضا بتفويض الهي من السماء وان يحكم رعاياه بناءا على هذه الفرضية تدعمه الديانة الكونفشيوسية، ويساعده في الحكم بيروقراطية تخرج أفرادها من مدارس لتعليم كتابات وآداب الكونفشيوسية. لقد أقيم بناء إمبراطوري ووحدة ثقافية في الصين ظلت حتى الآن موجودة بالصين رغم ما عانته من حروب أو هجوم وتعديلات في أحيان أخرى إلا أنها ظلت قلب الصين وروحها المسيطرة.

خلال القرن الأول الميلادي قام الرومان بتمويل رحلات بحرية للوصـول الى جنوب الهند وسيلان، ووفقا للتاريخ الصيني للهان الغربية فانه في عام ١٦٦ بعد الميلاد وصل بعض التجار من (تاتشين) وهو الاسم الصيني لروما يمثلون الملـك آنتون (الإمبراطور) ماركوس أوريليوس انطونيوس الى جنوب الصين عن طريق خليج البنغال ثم بالدوران حول شبه جزيرة ملقا.كان هذا بداية التعـاون التجـاري الكبير بين إمبراطوريتين عظيمتين تحكم كل منها طرف العالم القـديم المعـروف آنذاك.

كانت الصين تصدر الى العالم الخارجي الحرير الذي ظلت تحتكر صناعته وأسراره حتى نهاية التاريخ القديم، وقد كان الطلب عليه كبيـر حتـى أن أثـواب الحريـر استخدمت كعملة في التبادل التجاري الرسمي بين الدول.

ومما تم اختراعه على يد الصينيين فيما بين ٧٥ – ١١٤ ميلادية الورق وقد كانت أيضا مما احتكره الصينيون، وكانت صناعته تعتمد علـى أشـجار التـوت والبامبو وغيرها من النباتات. وبجانب الحرير والورق صـدرت الصـين الفـراء والجلود والراوند وهو من الأعشاب الطبية كثيرة المنافع كما وصلت الـى رومـا خلال القرن الميلادي الأول ثمار الخوخ والمشمش التي لم تكن تعرفها أوروبا مـن قبل. وعلى الجانب الآخر من التجارة استوردت الصين الزجاج والخيول البارثيـة وكميات كبيرة من العملة الرومانية والأخشاب العطرية واللآلئ من الهنـد وخـلال القرن الميلادي الأول عرفت الصين العنب والبرسيم الحجازي.

وبعد القوافل التجارية جاءت السفارات الدبلوماسية وعرف أيضـا طريـق تجاري بحري عن طريق البحر الأحمر فالمحيط الهندي باسـتخدام الموتسـون أو الرياح التجارية وصولا الى الهند ثم العودة مرة ثانية ورغم أن العرب عرفوا هـذه

الطرق البحرية والرياح وهم اسبق من اليونان والرومان إلا انه خلال القرن الميلادي الأول استطاع الرومان الإبحار في هذه البحار الرائعة وصولا الى الهند والتفافا حول شبه جزيرة الملايو وهو الطرق الذي عرف من بعد باسم طريق البهار أو طريق التوابل. ومع التبادل التجاري انتقلت الأفكار والثقافات فدخلت البوذية الى الصين خلال القرن الثاني الميلادي وتأثر الفن الصيني بالفن البوذي والفنون الهلنستية.

تطورت الصين خلال الفترة ما بين ٣١٧ – ٥٨٩ عن طريق خطط متباعدة، ففي الشمال نجد مجموعة من الدول سريعة الزوال أوجدتها القبائل البربرية أو أقامها مغامرون من أصول بربرية، كان هناك نوع من التشظي أو الدول الصغيرة التي حكمها مجموعة دائمة التغير من الحكام، الاستثناء الوحيد كان محاولات فوشيان لتوحيد الصين خلال القرن الرابع الميلادي، وهو من الحكام الذين استمروا على العرش فترة طويلة نسبيا ٢٨٩ – ٣١٧ م.

إلا انه تحت هذه الفرقة الظاهرية حضارة صينية موحدة ذات جوهر صيني أساسي إلا أنها لا تخلو من مؤثرات أجنبية ذات أصول غربية (يقصد بغربية تعود الى وسط آسيا). كانت الطبقة الحاكمة من الأجانب الى انه في نهاية هذه الفترة نجحت البيروقراطية الكونفشيوسية القديمة في إعادة السيطرة على شمال البلاد.

وفي الجنوب نجد على عكس الشمال حفاظ على التقاليد الإمبراطورية الصينية تتمثل في دولة واحدة حكمها خمسة اسر حاكمة متعاقبة وكلها صينية محضة وقد ظلت الثقافة صينية قلبا وقالبا وكذلك كانت الطبقة الحاكمة التي كان بعض أعضائها ذوي أصول محلية إلا أن الغالبية العظمي كانت مهاجرة من الشمال، كان التاريخ السياسي للشمال والجنوب في هذه الفترة غاية في التعقيد.

في الشمال (الهزيونج- نو) عائلة الهون التي ستصبح بعد ذلك تشـــاو المتقدمـــة والمتأخرة ولم يكن الهون قادرين على بناء دولة قوية متماسكة وقد قضى بعضـــهم على البعض الآخر وقد كانت هذه العائلة المالكة ممزقة بحروب ضروس متبادلـــة، وبثورات الفلاحين انتهت هذه الأسرة الحاكمة.

ظلت البلاد لفترة وجيزة تحت حكم عائلة هزين- بي المسمي فتـــرة مـــو- جنج، إلا أن البلاد بأكملها وقعت في يد (فو- تشين) ما بين ٣٥٧ – ٣٨٥ ونقصد هنا بلاد الشمال.

أسرة سو وي (٥٨٩ – ٦١٨)

أسرة تانج (٦١٨ – ٧٥٦) وقد استمرت بشكل غير مستقر في الجنوب تحت حكم أسرة سونج

أسرة سونج (٩٦٠ – ١٢٧٩)

عاشت الصين في المرحلة التي تلت سقوط إمبراطورية الهان ثلاثة قـــرون من الفوضى والانقسام، وعاشت الشعوب الرحل من الهون والترك في شمال الـــبلاد وأقامت هذه الشعوب الأجنبية مدن دول إدارتها صينية وسرعان ما استوعبت هـــذه الشعوب الثقافة الصينية، وقد أفلتتت المناطق الوسطى والجنوبية من الصين من هذا المصير وعاشت فترة من الرخاء النسبي وزيادة في عدد الســـكان ســـببها هجـــرة الشماليين ووفرة الطعام بالاعتماد على الأرز وهذا النمو الاقتصادي عمل على دعم سلسلة من الحكام السياسيون اتخذوا من نانكنج عاصمة لهم.

عادت أسرة تسين الى الحكم في عام ٢٥٦ على يد احد كبار موظفي القصر الذي حكم باسمها، إما أسرة التسين الغربية فقد حكمت من عام ٢٥٦ الى عام ٣١٣،

وحكم التسين الشرقيين حتى عام ٣٩٧. وفي الشمال استولى الهون على السلطة فيما وراء السور العظيم ثم ذابوا في السكان وتطبعوا بعاداتهم ودافعوا عن البلاد ضد الغزاة الآخرين وهم الأتراك.

كان ذلك عهد عنف متواصل في حين اقبل أفراد الطبقة العليا على الرشوة في جو من الفخفخة وعكف عدد من المتعلمين على مزاولة الصوفية مما ساعدهم على التطور الفكري إما فصائل الجنود فكانوا رجال عصابات وحدث امتزاج شديد بين السكان.

وفي عام ٥٨١ قام وزير جرئ يدعى يانج كيين بخلع أخر ملوك الواي عن العرش، وأسس حكم أسرة سوان وقد تمكن من قهر كل الصين الجنوبية وحقق وحدة الإمبراطورية في عام ٥٨٩ واتخذ عاصمته في تشانج- نجان العاصمة القديمة للهان. وقد حافظ على التنافس بين الهان الشرقيين والغربيين وأعاد للصين سلطانها على آسيا الوسطي واتخذ يانج كيين اسم وين- تي ونزل عن الحكم لابنه الإمبراطور يانج- تي الذي عاش حياة الترف وشيد قصورا فخمة وحدائق رائعة كما جعل من لو- يانج المقر الثاني للإمبراطور وهي تتصل بمصب النهر الأزرق بأول قناة إمبراطورية غير أن الضرائب الباهظة التي فرضها وتسخير للعمال أحدثت تذمرا شديدا لدرجة أن جنوده ذبحوه في قصره هو وابنه الصغير.

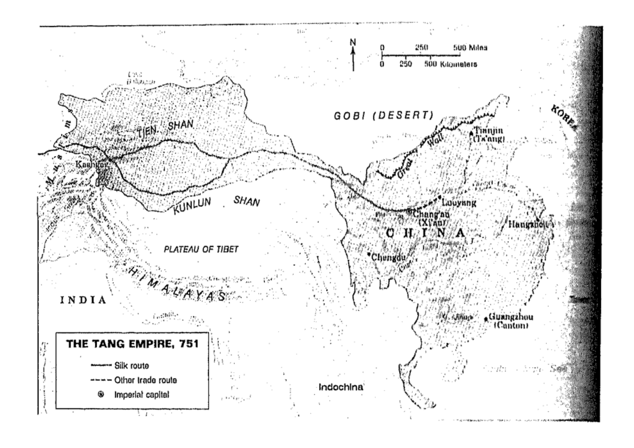
وهنا أصبح كل شئ على وشك التفكك عندما قام ضابط شاب في الخامسة والعشرون من عمره يدعي لي تشي- مين بإعادة حفيد الإمبراطور المقتول لكنه عاد فخلعه بعد ذلك ببضعة شهور لينصب والده هو وبعد أن تغلب على الأتراك الذين كانوا يهددون الحدود خلع لي تشي- مين أباه وتولي هو الحكم باسم تايتسونج وأطلق

عليه لقب الأعظم لأنه أضفي على القوة الصينية أعظم امتداد عرفته علـــى مـــدى تاريخها.

كانت بعض المؤامرات في القصر تتسبب أحيانا في استيلاء بعض النســـاء الطموحات على السلطة كثيرا ما كن يتسمن بالقسوة، ويتوافق العصر الذهبي لحكـــم تانج مع حكم الإمبراطور هيوان- تسونج (٧١٣ – ٧٥٦) الذي كان نصيرا للآداب والموسيقي وفي عهده ازدهرت نخبة من الشعراء والفنانين.

عائلة تانج الحاكمة

(٦١٨ – ٧٥٦)



عائلة تانج الحاكمة (٦١٨ – ٧٥٦)

عاشت الصين فترة من المجد تحت قيادة هذه الأسرة استطاع أول ثلاثة أباطرة من هذه الأسرة إخضاع الأقاليم التركية في وسط آسيا كما أخضعت الصين التبت كما غزو آنام (شمال فيتنام) كما أضافوا الى إمبراطورية الهان أراضي جديدة في كوريا إلا أن هذه السيطرة تعطلت خلال فترة الحكم غير العادية للإمبراطورة " وو " (٦٢٨ – ٧١٢)، وهي محظية الإمبراطور الثاني والثالث، والتي سيطرت على الدولة بعد وفاة الإمبراطور الثالث، وبعد أن قامت بتعذيب وإعدام السياسيين، وخلال هذه العملية أضعفت الأرستقراطية القديمة وذلك من خلال تفضيلها للبوذية وتقوية نظام الاختبارات. إلا أن خلعها من العرش عام ٧١٢ انفتح عصر جديد من النمو الثقافي أثناء تولي الإمبراطور هو سوان– تسونج (٧١٣ – ٧٥٦) حكم الصين.

كان الحكام من أسرة تانج يفضلون الحكومة شديدة المركزية واستخدموا بيروقراطية معقدة ثم تنظيمها على هيئة مجالس متخصصة ووزراء كلهم مسئولين بشكل مباشر أمام الإمبراطور كما عملت حكومات محلية تحت قيادة ١٥ حاكم إقليمي بساعده عدد من الموظفين حتى الأحياء، كما اشرف القادة العسكريون على جمع الجزية من الأراضي شبه المستقلة أو التي تتمتع بحكم شبه ذاتي من الأراضي التي غزتها الإمبراطورية.

وبحلول القرن الثامن الميلادي أصبح أصحاب الوظائف الحكومية الرسمية من الحاصلين على درجة علمية من مدارس الحكومة وجامعاتها الذين تأهلوا من خلال مرورهم بامتحانات منتظمة ونتيجة ذلك تمتعت الدولة بوجود كم لا بأس به

من الموظفين المؤهلين المحافظين على الكونفشيوسية وهي أكثر كفاءة من تلك الأقلية من الموظفين الأرستقراطيين التقليديين المتبقين من النمط السابق.

ومن المؤسسات أو الهيئات الجديرة بالذكر في عصر التاريخ المؤسسة الخاصة بتسجيل الأراضي القومية وهي مصممة بحيث تقوم بعملية تقييم نمو الضياع الكبيرة وضمان إيجاد أراضي للفلاحين والربط بين شروط امتلاك الأراضي حسب الضرائب التي يتم تحصيلها من هذه الأرض والخدمات العسكرية التي يقدمها السكان في هذه القرية أو الضيعة.

اقتصاد إمبراطورية أسرة التانج والمجتمع خلال هذه الفترة

استطاعت أسرة تانج تنظيم الاقتصاد بعناية فائقة واحتكرت الدولة الملح واللك والشاي وباستخدام عملية منح التراخيص استطاعت منع أي تداخلات غير مرغوب فيها. كما أصدرت إيصالات يتم تداولها بين التجار وقد أصبحت بعد ذلك الشكل الأول للعملة الورقية التي سوف تستخدم بعد ذلك في عصر أسرة " سونج ".

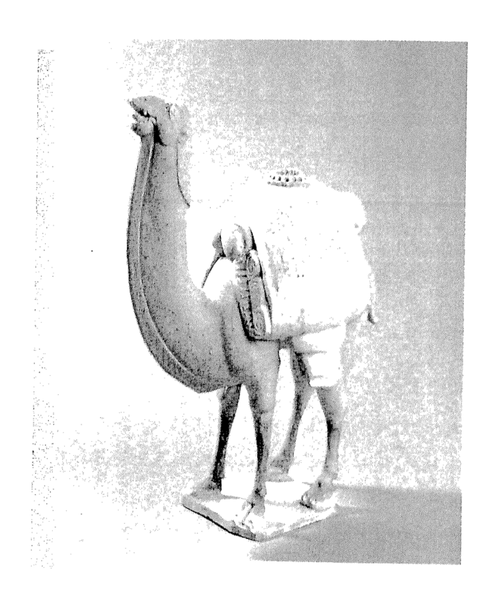
كما أنشأت الدولة طرق وقنوات لتسهيل توزيع التجارة ومن أهم هذه المشروعات العاملة القناة الكبرى التي تمتد لمسافة ٦٥٠ ميل بين هانجشو وتينستين، ومن المنشآت الحكومية أيضا خانات للبريد ومطاعم لتقديم الطعام للمسافرين من موظفي الدولة وكذلك إقامة أهراء أو صوامع للحبوب تابعة للدولة لمنع حدوث المجاعات.

أن الاقتصاد المثمر كان عاليا في بداية عصر أسرة " تانج " وخاصة مع النمو المطرد للزراعة والصناعة، وكان لظهور الشاي والأرز الرطب wet rice والمجلوبين من انام الفضل في تحويل منطقة اليانجتسي الى مخزن ضخم للطعام يمد

الصين باحتياجاتها وكذلك قاعدة اقتصادية تعتمد عليها أسرة " تانج " كمصدر للقوة، وبوجود وفرة من الطعام مع زيادة مضطردة للسكان أدى الى زيـادة الصـناعات التقنية الصينية في صناعة الورق وسباكة الحديد وإنتاج البورسالين وتصنيع الحرير من شرانق دودة القز. كل هذه المصنوعات أمكن تطوير الطرق الفنية المسـتخدمة لإنتاجها كما انتشرت غربا وصولا الى الشرق الأوسط مع التفوق الصيني.



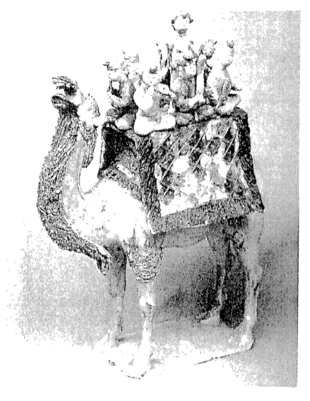
كان المجتمع الصيني برغم قوة وسيطرة الدولة والطبقة الأرستقراطية أكثر ديناميكية وأكثر مرونة، وزادت التجارة الخارجية والتأثير الصيني على ما حولها تحت حكم أباطرة أسرة التانج، وأعادت سيطرة الصين على وسط آسيا وفتح طريق الحرير مرة ثانية.



ولما كان البورسالين من المنتجات التي لا يمكن نقلها بسهولة على ظهور الجمال والقوافل البرية التي تستخدم طريق الحرير وقد أصبح واحدا من أهم صادرات الدولة المطلوب بكثرة في أنحاء العالم القديم فقد زادت من حجم التجارة البحرية عبر جنوب شرق آسيا، وقد كانت معظم هذه التجارة البحرية تخرج من مواني الجنوب لذلك لا يكون مستغربا وجود أكثر من ١٠٠ ألف أجنبي في ميناء كانتون من الهندوس والفرس والعرب والماليزيين، كما عرفت شانجان عاصمة إمبراطورية " التانج " والطرف الشرقي لطريق الحرير و عرفت شانجان وجوه التجار الأجانب.

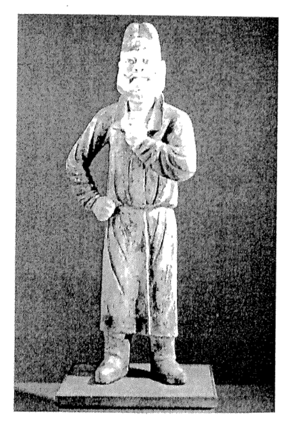
ازدهر الأدب الصيني وقد حدث هذا الازدهار في بداية عصر أسرة " تانج " الحاكمة، وهذا الازدهار الأدبي ينبع بشكل طبيعي من مجتمع ديناميكي إلا أن المنابع الرئيسية كانت في انتشار هذا الأدب بشكل موسع نتيجة لتطور صناعة الورق التي نقلها العرب الى أوروبا ولاختراع الطباعة، واصل الطباعة بالأكليشيهات أو الكتلة الخشبية في حوالى ٦٠٠ ميلادية بدأ في الصين وفيها انتشر الى كوريا واليابان.

ونظرا لطبيعة لغات شرق آسيا ذات الصور فقد استخدموا نوع متحرك من الكتل الخشبية الطباعية وهو النوع الذي أدي الى ثورة ثقافية في أوروبا وقد ساعدت الطباعة في تلك الفترة على الاستيفاء باحتياجات الطلب المتزايد على المواد الدينية والدراسية التي جمعتها البوذية ونظام الامتحانات، والدراسة في عصر التانج تشتهر أكثر ما تشتهر بالكتابات التاريخية.











انهيار أسرة تانج

في بداية النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي دخلت الصين دورة الانهيار التي عاشتها الأسرات الصينية الاخرى، وقد بدأ ذلك بإنذار خارجي عام ٧٥١ عندما أعاد العرب غزو حوض التاريم، وفي نفس الوقت تعرضت الإمبراطورية لضعف النظام المالى نتيجة للإنفاق الشديد وقام الحكام العسكريين بالتحكم في الأقاليم الخارجة عن الدولة المركزية ثم دخل واحد من هؤلاء القادة العسكريين الى شانجان لإقصاء الإمبراطور وهذا القائد هو آن- لو- شان وقد تحرك نحو العاصمة ٧٥٥ م، وأثناء هروب الإمبراطور العجوز هوسوان- تسونج

من العاصمة شنجان حفاظا على حياته اجبره الجنود على التصديق على أمر بإعدام محظيته المفضلة وحسب ما تقول الروايات انه مات آسفا وحزنا عليها بعد شهر واحد من مقتلها.

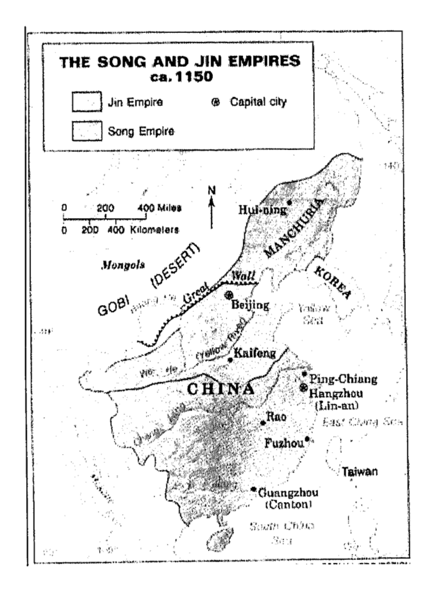
وقد تم قمع هذا التمرد بعد سبع سنوات أدت في النهاية الى عدم استطاعة أباطرة " التانج " استعادة قوتهم السابقة، ومع تدمير نظام تسجيل الأراضي القديم انهار أيضا الدخل الحكومي وبدأ الفلاحين في التذمر والتمرد من جراء فرض ضرائب باهظة، وبدأت الحكومة الصينية في جعل الناس ينفرون مما تقوم به من الاستيلاء على ممتلكات البوذيين واضطهاد كل الأديان الأجنبية.



وفي العاصمة فقد الأباطرة الضعاف كل سلطانهم وبدأ سلطان الخصيان والطواشي والمحظيات في الظهور وقد كان هؤلاء الخصيان في الأصل خدم للحريم الإمبراطوري، وفي عام ٩٠٧ قتل قائد عسكري كل الخصيان وعزل أخر أباطرة أسرة " تانج "، ورغم تخبط أسرة تانج في أواخر أيامها إلا أنها مهدت الطريق لأسرة سونج.

أسرة سونج

(١٢٧٩ - ٩٦٠)



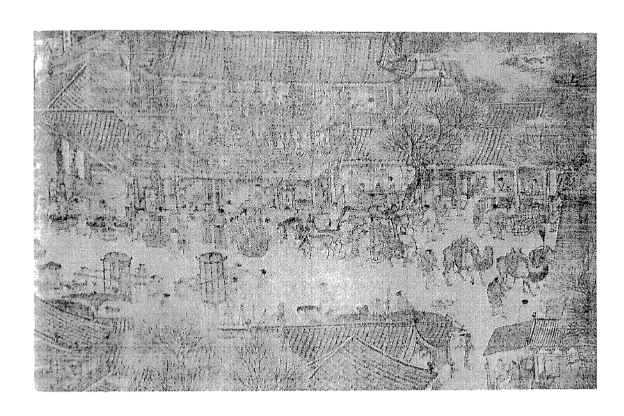
أسرة سونج (٩٦٠ – ١٢٧٩)

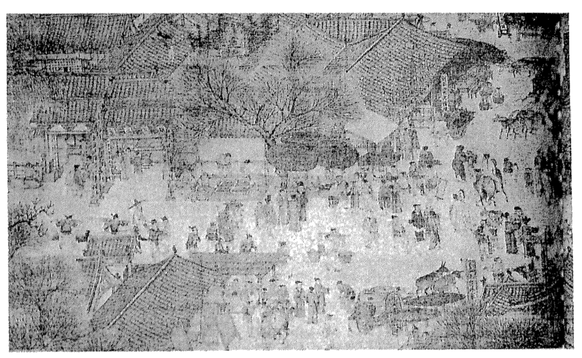
عاشت الصين حوالى نصف قرن بعد سقوط أسرة تانج فترة من الانقسام والتفرق الذي يقترب في بعض الأحيان من الفوضوية. ففي الشمال خمسة اسر حاكمة وعشرة ممالك في الجنوب وإذا لم يعاني المجتمع من هجمات البرابرة فانه يعاني من صراعات داخلية بين بارونات الحرب المتنازعين والمتنافسين. الى أن قام احد القادة العسكريين بانقلاب داخل القصر في دولة التشو الشمالية راس أسرة " سنوج " الحاكمة في ٩٦٠ ميلادية، وقد أعاد هذا القائد العسكري ومن بعده خلفائه وحدة البلاد غير أن أقاليم حدودية معينة خرجت عن طاعة أسرة التانج لم يتمكن احد من إرجاعها مرة ثانية الى حظيرة الدولة كما أن المناطق التي احكم قادة التانج السيطرة عليها لم تسترجعها دولة سونج ثانية.

ورغم كونهم شماليين إلا أنهم هجروا تقاليدهم العسكرية أمام جاذبية أراضي الجنوب والتي اعتمدت عليها الدولة لدعمها اقتصاديا. وبدلا من أن يستخدموا موظفين رسميين مسئولين بشكل شخصي أمام الإمبراطور اعتمدوا على الخدمات المدنية معتمدين على الصفوة المتعلمة التي ينتجها نظام الامتحانات.

ونظرا لعدم وجود قوة عسكرية فاعلة ولابتلاء هذه الأسرة ببيروقراطية مشاكسة حاول رجال دولة سونج الدفاع عن جهة السهوب بالطرق الدبلوماسية، وعندما فشلت هذه المحاولات فإنهم عالجوا المسألة بدفع جزية وإتاوة للمالك البربرية المجاورة على هيئة فضة وحرير وذلك حتى يحجموا عن غزو الإمبراطورية.

لوحة مشاهد على النهرمن عصر السونج او مستوحاة منه





بالإضافة على مسألة الدفاع هذه واجه حكام أسرة سونج مشاكل داخلية شديدة الخطورة، فالاقتصاد المتنامي المزدهر يشجع على الفردية الأنانية التي تؤثر على كل الطبقات، أن تكاليف الجزية الأجنبية بالإضافة الى الخسائر الناجمة من تهرب الأثرياء من دفع الضرائب أدت الى الاضطرابات والقلائل التي قام بها الفلاحون.

ولحل هذه المشاكل استعان الإمبراطور برجل دولة كفء هو وانج- آن- شيه (١٠٢١ – ١٠٨٦) حيث قام وانج برعاية برنامج أدي الى إصلاح سيطرة الحكومة على الارباح الخاصة بقروض زراعية وتثبيت أسعار السلع ومعاشات كبير السن، كما أحدث إصلاح في نظام الامتحانات ليؤكد على المعرفة العلمية وليست النظرية فقط.

مثل هذه الإصلاحات أحدثت بعض التحسن إلا أنها أوجدت أيضا معارضة متعصبة من المثقفين والبيروقراطية والمرابين. ومع الجيل التالى كانت معظم الإصلاحات قد اختفت . الرائع هو حداثة نظريات وانج مفهوم الدولة الصالحة والاقتصاد المنظم، مثل هذه المفاهيم ليست جديدة كما نرى، أن محاولات ومجهودات أسرة " سونج " لحكم صين موحدة سرعان ما أتت بشكل غير مرضي في بداية القرن الثاني عشر.

وقد أتت هذه النهاية على يد شعوب من القبائل الرحل من منشوريا وقد أقام هؤلاء الجورشن أسرة التشين في شمال الصين كما دمروا إقليم خيتان ودخلوا عاصمة السونج الشمالية كاي فنج، وقد فر البلاط باكلمه وهو في حالة ذعر الى نانكنج وأقام عاصمة في هانجشو، وبعد عقد كامل من الحروب الطاحنة تم توقيع معاهدة سلام مهينة مع التشين سنة ١١٤١.

استطاعت دولة السونج البقاء في الجنوب لأكثر من قرن مقطوعين تماما من التعاون مع أراضي الشمال والغرب إلا أنهم ظلوا قادرين على تحقيق تقدم ثقافي واقتصادي.

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية أثناء عصر السونج

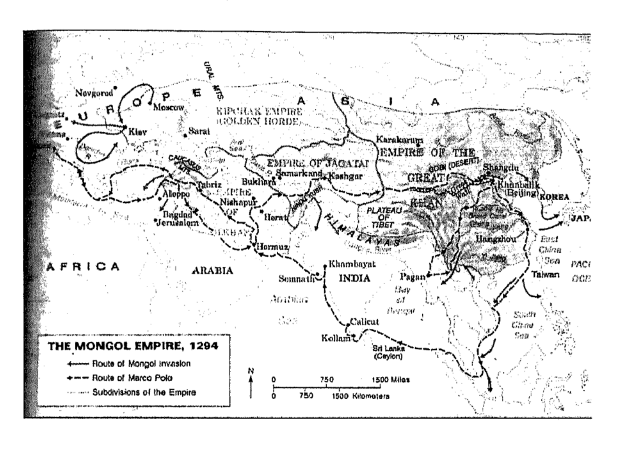
رغم ضعف السونج عسكريا إلا أن دولة السونج كانت نواة اقتصادية ليس فقط للصين وحدها وإنما لمعظم شرق آسيا. ان مشروعات تنظيم الري والزراعة المركزة ضاعفت إنتاج البلاد من الأرز خلال قرن بعد ١٠٥٠، بينما تزايد ناتج الصناعة بسرعة و انتجت أحسن أنواع الحرير والمصنوعات المدهونة باللك كما أنتجوا البورسالين للاستخدام في الداخل والتصدير للأسواق الخارجية. وتقدم الاقتصاد في ظل عائلة السونج من خلال ابتكارات مثل الساعة المائية وأسلحة القذف بالبارود، والزوارق ذات البدال والبوصلة وغيرها من المبتكرات الصينية، ومثل هذه الكفاءة الفنية وزيادة الإنتاج جعل التجارة تخرج من يد الحكومة وسيطرتها مما أدى الى ظهور النقد الورقي في معاملات البنوك، أصبحت التجارة الخارجية التي كانت في السابق بيد الأجانب من هنود وعرب وغيرهم بيد الصينيين أنفسهم الذين أقاموا مستعمرات تجارية عبر وسط آسيا باكلمه، ومع زيادة التجارة والصناعة والزراعة ازداد عدد السكان الى ١١٥ مليون نسمة بعد أن كان ٦٠ مليون نسمة.

وبكونهم آمنين نسبيا من هجمات البدو الرحل خلف الحواجز المائية في الجنوب أصبح معظم الناس لا يهمهم إلا أمر حريتهم واستمتاعهم بالحياة وتقدمهم،

إلا أن الحرية الجديدة أنتجت منافسة قاسية مع انهيار القيم الأسرية القديمة والمحظورات الأخلاقية.

إلا أن مثل هذه التأثيرات كان لها تأثير قليل على بنية الطبقات، لم يستطع التجار حتى مع ثراؤهم الحلول محل الطلاب البيروقراطيين الذين استمروا في العيش برفاهية كأصحاب أراضي، والكثيرون من هؤلاء كانوا من عائلات تنتمي للطبقة المتوسطة الذين كانوا قادرين ماليا على تعليم أبناؤهم لاجتياز امتحانات الخدمة المدنية.

الصين تحت حكم المغول



الامبراطورية المغولية

اسرة يوان أول سلطة موحدة اقامتها احدى الاقليات القومية

فى تاريخ الصين ١٢٧١-١٣٦٨

الصين تحت حكم المغول

خلال حكم كوبلاي خان كالخان الأعظم (١٢٦٠ – ١٢٩٤) اكتسبت الصين أهمية في النظام المغولي، قام كوبلاي حان بنقل عاصمته من قوراقورم العاصمة المغولية الى بكين، ونادي بنفسه مؤسس أسرة " يوان " الحاكمة في الصين.

وكوبلاي خان هو احد أبناء جنكيز خان الذي أعاد وحدة البلاد (١١٦٠ – ١٢٢٧)، وقد استولى على الصين الشمالية في عام ١٢١٥ ومد بقعة إمبراطوريته الى روسيا ومعظم معرفتنا بالصين في هذه الفترة من خلال ما كتبه واحد من اشهر الرحالة الأوربيين الذي عاصر كوبلاي خان وقد أصبح اهتمام كوبلاي خان بالصين كقاعدة ملكه وهو ماركوبولو.

ولكن لماذا هاجم المغول بلاد الصين؟ الإجابة هنا هو ما أصاب الأقاليم الممتدة بإزاء حدود الصين الشمالية والغربية من جفاف أحالها الى صحراء جدباء فكانت غارات المغول لامتلاك بلاد أخصب من بلادهم وأوفر منها أرزاقا، وكان لنجاح هذه الغارات أثرا طيبا على تقوية روحهم العسكرية بعد أن وحدهم جنكيز خان بوسائل إرهابية، ولما تلقي من إمبراطور الصين تنج دزونج رسالة يدعوه فيها الى الخضوع ما كان منه إلا أن يمم وجهه نحو عرش التنين مجتازا ألفا ومائتي من الأميال في قلب صحراء جوبى.

ظل جنكيز خان خمس سنين يخرب في بلاد الصين الشمالية، ثم أزعجه اقتران كوكبين من الكواكب رأي في اقترانهما نذير شؤم فقفل راجعا الى قريته لكنه مرض ومات في الطريق، واصل خلفاؤه اوجوداي ومانجو وكوبلاي حملاته، وكان

الصينيين قد أهملوا فنون الحرب ووجهوا همهم كله لعدة قرون الى الثقافة، ويـذكر التاريخ أن احد حكام الصين في جوينتج- فو صمد للحصار حتى قتل المحاصرون كل من كان بالمدينة من الشيوخ والعاجزين وأكلوا لحومهم وهلك جميـع القـادرين على القتال ولم يبق لحراسة الأسوار إلا النساء ثم أشعل النار في المدينة واحتـرق هذا الحاكم الباسل في قصره.

اجتاحت جيوش كوبلاي بلادي الصين حتى وقفت أمام كاتون آخـر ملجـأ لجأت إليه أسرة سونج الحاكمة فلما عجزت الجيوش الصينية عن المقاومـة حمـل لوشي يوفو القائد الصيني الإمبراطور الغلام على ظهره والقى به وبنفسه في البحر فماتا معا، ويقال أن مائة ألف من الصينيين آثروا الموت غرقا على التسليم للفـاتح المغولي. أمر كوبلاي خان أن يحتفل بجنازة الإمبراطور احتفالا رسميا كبيرا وشرع يؤسس الأسرة اليوانية وهي الأسرة المغولية التي حكمت الصين اقل من مائة عام.

ومن الوطنيين الذين لن ننسي ذكرهم (ون- يتان – شيانج) وهـو عـالم وطني ابى أن يعترف بحكومة كوبلاي وفاء منه لأسرة سونج فالقاه كوبلاي خان في السجن الذي مكث فيه ثلاث سنين، لكنه ابى أن يخضع وكتب في سجنه تلك القطعة التي تعد من اشهر ما كتب في الأدب الصيني كله " أن سجني لا يضيؤه إلا الصهد ولا تدخله نسمة من نسمات الربيع لتؤنسني في وحدتي وتخفـف بعـض ظلمتـه ، وكثيرا ما فكرت في أن اقضي على نفسي من فرط ما اثر في من الضباب والنـدي ولكن الموت ظل عامين كاملين يحوم حولي ولا يقضي علـى وأضـحت الأرض الرطبة المقرة بالصحة جنة الفردوس نفسها. ذلك بأنه كان تستقر بين جوانحي ما لا تستطيع النائبات أن تغتصبه مني ولهذا بقيت مطمئن القلب ثابت الجنان أتطلع الـى السحب البيضاء فوق راسي واطوي قلبي على آلام لا حد لها كما لا حد للسماء ".

استدعاه كوبلاي أخر الأمر الى المثول بين يديه وسأله الملك أي شئ تريد؟ فأجاب ون بقوله: لقد عطف على إمبراطور سونج فجعلني وزيرا لجلالته وليس في وسعي أن اخدم سيدين وكل ما اطلبه أن أموت، وأجابه كوبلاي الى ما طلب، وبينما كـــان ون ينتظر أن يهوي سيف الجلاد على عنقه انحنى في خضوع واحترام نحو الجنوب كان الإمبراطور من آل سونج لا يزال يحكم في ناتكنج العاصمة الجنوبية.

كان كوبلاي خان نفسه حكيما ولم يكن همجي بربري كما يعتقد الكثيــرون فقد كان الأخلاق الشائعة لا تعتبر الغدر عملا ذو شأن في علاقات الغازي والمهزوم عسكريا، وعرف كوبلاي خان واعترف بتفوق الصينيين على المغول حضاريا ففي ميدان الحضارة فالغلبة للصينيين وفي ميدان العسكرية فالغلبة للمغول لــذلك عمــل على مزج عادات الصينيين بعادات أهل بلاده ليتمكن من مزج هــذين العنصــرين الصيني والمغولي ليتكون منهما خليطا واحدا، وقد تحضر المغول بحضارة الصــين واستحالوا امة صينية وهذا شأن أصحاب الحضارات العريقة فهم يؤثرون في الغزاة وسرعان ما يتشرب هؤلاء الغزاة ماء الحضارة فيتحضروا.

وقد أباح ما كان في الصين من ديانات وشجع على دخول المسيحية، وأعاد فتح القناة العظمى بين تينتسين وهنجتشاو وأصلح الطرق الكبرى وانشأ نظاما سريعا للبريد في أقاليم أوسع رقعة من البلاد التي خضعت للصين منذ جلس على عرشــها إمبراطور، وأقام في البلاد أهراء (صوامع) عامة عظيمة ليخزن ما يفيض عــن حاجة البلاد من المحصولات الزراعية ليوزعها على الأهالى في أيام القحط، والغي جميع الضرائب عن الزراع الذين اتلــف محاصــيلهم الجفــاف أو العواصــف أو الحشرات.

وقد الغى نظام تقلد المناصب العامة بالامتحان وذلك لأنه لو اتبع هذا النظام كان جميع الموظفين في حكومته من الصينيين ثم حصر معظم الوظـائف الكبـرى على أتباعه من المغول.

فكان سخيا في تشجيع التعليم والآداب والفنون وبسط رعايته عليها وقد عدل التقويم في أيامه وافتتح المجمع العلمي الإمبراطوري وشيد عاصمة جديدة للبلاد في بكـين وكانت لروعتها وكثرة عامرها موضع إعجاب من يزروها من الغربـاء وشـيدت القصور وازدهرت العمارة ازدهارا لم تر الصين له مثيلا من قبل.

وقد كان ماركوبولو وأبوه وعمه حاضرون لمشاهدة هذا الازدهار وشاهدين علـى حسن تصرف كوبلاي خان. وقد ذكر ماركوبولو فيما كتب " لا يكاد يمضـي يـوم واحد لا يوزع فيه الموظفون المختصون ملء عشرين ألف وعاء من الأزر والذرة وغيرها من أنواع الطعام، وقد كان لهذا الكرم العظيم المدهش الذي يعامل به الخان العظيم الفقراء من أهل البلاد أعظم الأثر في نفوس الناس جميعا فأحبوه واجلوه.

ولا يخفي أن كثيرا مما نعرفه عن الصين في فترة حكم كوبلاي خان مستمد من ما كتبه ماركوبولو من مشاهدات وقد عرفت أوروبا الكثير من المتع الشـرقية عن طريق ماركوبولو، وأنت تأكل الجيلاتي مثلا إنما مرده الى الصـين وعرفتـه أوروبا عن طريق ماركوبولو فقد كان الصينيين يخلطون الثلج المجروش بعصـائر الفاكهة الطازجة، وما عرفت أوروبا المشمش والخوخ إلا من الصين.

كان ماركوبولو وأبيه وعمه يظنون أنهم سيقيمون في الصين أكثر من عـام أو عامين ولكنهم وجدوا في تلك البلاد من الأعمال المجزيـة والفـرص التجاريـة المربحة تحت حكم كوبلاي خان ما حملهم على البقاء فيها ما يقـرب مـن خمسـة وعشرون عاما.

واثرى ماركوبولو بنوع خاص وارتقي في مناطب الدولة حتى عين على هانجتشاو ويصفها ماركوبولو كتابة وصف المعجب بها الحافظ لعهدها فيقول أنها ارقي من بلاد أوروبا باجمعها في جمال مبانيها وجسورها وعدد مستشفياتها العامة ورشاقة دورها ذات الحدائق وكثر ما فيها من وسائل المتعة والنساء وجمال سراريها وسمرهن وقدرة حكامها على الاحتفاظ بالأمن العام والنظام ورقة أهلها وحسن أخلاقهم.

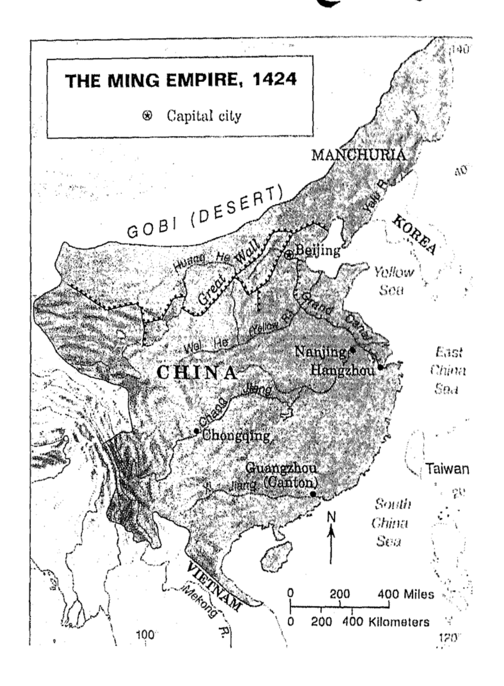
بعد أن أقام ماركوبولو هو وأبوه وعمه عشرين سنة في بلاد الصين اغتنم ثلاثتهم فرص قيامهم بمهمة الى الفرس أوفدهم بها الخان فعادوا الى بلادهم بأقل النفقات واقل ما يمكن أن يتعرضوا له من الأخطار وبعث معم كوبلاي خان برسالة الى البابا ، وحباهم بجميع ما كان معروفا في ذلك الوقت من التسهيلات للمسافرين وقضوا في طوافهم بحرا حول شبه جزيرة الملايو الى الهند وفارس وفي رحلتهم الى طرابزون على البحر الأسود وأخيرا في رحلتهم البحرية الى البندقية ثلاث سنين، ولما وصلوا الى أوروبا عرفوا أن الخان والبابا قد توفيا.

ولما دارت رحي الحرب بين البندقية وجنوي في عام ١٢٩٨ عقد لواء احدي السفن الحربية لماركو فلما أن استولي الأعداء على هذه السفينة وزج هو في سجون جنوي حيث مكث عاما كاملا واخذ يسلي نفسه بان يملي على احد الكتبة اشهر كتاب في الأسفار وآداب العالم، وقص فيه كيف غادر هو وأبوه نيقولا وعمه مافيو مدينة عكا ولما يتجاوز السابعة عشرة من عمره وكيف تسلقوا جبال لبنان واجتازوا ارض الجزيرة الى الخليج الفارسي ثم اخترقوا بلاد فارس وخراسان وبلخ حتى وصلوا الى هضبة البامير ثم انضموا الى بعض القوافل وساروا معها سيرا بطئيا حتى كاشغر وخوتان ثم اجتازوا صحراء جوبي الى تنجوت ثم اخترقوا السور

العظيم الى شانجتو حيث استقبلهم الخان الأكبر بوصفهم رسلا أذلاء مـــن الغـــرب الناشئ.

وهنا نذكر أن أوروبا بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية عاشت عصور ظلام بينما كانت هذه الفترة لدي الصين والهند عصور إنتاج ثقافي وتكنولوجي وسنتناول العلوم والمعارف في الصين لاحقاً.

أسرة منج ١٣٦٨ - ١٦٤٤



أسرة منج (١٣٦٨ – ١٦٤٤)

بينما كانت أوراسيا الوسطي تخرج الى الوجــود إمبراطوريــات إســلامية عظمى كانت ثقافات شرق آسيا تعاني من مشاكل داخلية أعاقت تقدمها وحجبتها عن العالم الخارجي.

ورغم أن الاقتصاد الياباني في حالة توسع وكان المجتمع الياباني في حالة هياج فقد ظلت حالة الفرقة السياسية في المقام والاعتبار الأول، وكوريا ذات البنيــة الثقافيــة والسياسية الأقدم من اليابان ظلت محصورة بين اليابان والصين، إما الصين وهــي مقصدنا الآن فقد كانت من دورة ثانية من الانحطاط السياسي، ورغــم أن أبــاطرة المنج الأوائل اظهروا اهتمام خاص بالتوســع البحــري إلا أن ضــغوط البرابــرة المستمرة قادت الصين مرة ثانية الى حالة من السكون والثبات على التقاليد السابقة.

في منتصف القرن الرابع عشر واجه الحكم المغولي في الصــين تضــخم متصاعد وانهيار للبيروقراطية لذلك لم يكن من الغريب أن تحدث انتفاضة شــعبية قادها احد الكهنة البوذيين الذي يعزى إليه إيجاد أو تأسيس أسرة منج الحاكمة وقــد تبني لقب هونج– وو الذي اتخذه لنفسه خلال فترة حكمه (١٣٦٨ – ١٣٩٨) ثــم تسمى خلال فترة حكمه هو وابنه (١٤٠٣ – ١٠٢٤) وقد عمل على تقوية السلطة الإمبراطورية وإحياء الشعور القومي، واستعاد مرة ثانية نظام الامتحانات للوظائف العامة والقانون التقليدي وقد عاقب منتهكي القانون مع احترام حقوق الأفراد حتــى المغول الذي قبلوا حكم المنج.

عكست سياسات حكام أسرة المنج الأوائل تصميم الصينيين على الاهتمــام أكثر بالشئون الخارجية وقد حارب كلا من الإمبراطورين المغول وقاموا بحمــلات

ناجحة ضدهم، وأعاد (يونج- لو) ضم والحقا آنام بالحكم الصيني بالقوة (شمال فيتنام)، كما توسعت الحكومة في إنتاج القطن الذي تم جلبه من الغرب في فترة سابقة حتى أصبح احد صادرات الصين في تلك الفترة، وشجعت الحكومة الصينية رسميا التجارة الأجنبية مع اليابان وجنوب شرق آسيا والهند وأرسل يانج لو البعثات الى الدول المجاورة وأرسل أيضا سبعة حملات بحرية فيما بين (١٤٠٥ - ١٤٣١)، فكان بعض سفن الأسطول الذي قام بهذه الرحلات تحمل أكثر من ٥٠٠ طن وطاقم بحارة يصل الى ٧٠٠ فرد.

وقد زارت لأساطيل الصغيرة ذات الطابع السلمي الصين وسومطرة والهند والخليج العربي وعدن وشرق أفريقيا، وقد بادلوا في شرق أفريقيا البورسالين والخزف بالعاج وريش النعام والحيوانات الغريبة عليهم مثل الزراف وحمر الزرد الوحشية وبينما كان البرتغاليين يستكشفون على استحياء ساحل الأطلسي في المغرب، وكان الصينيون يسيطرون فعليا على المحيط الهندي.

خلال عهود أسرة تانج وسونج ويوان حدثت تطورات لم يسبق لها مثيل في التجارة البحرية بين الشرق والغرب ففي عهد أسرة تانج كانت السفن التجارية الصينية التي يقال انه كان لبعضها رحلات تمتد حتى الخليج العربي وفي عهد أسرة سونج طرأ مزيد من التحسين على أساليب بناء السفن الصينية، ويقول دجو شوني احد بحارة الصين في القرن الثاني عشر في وصفه السفن التجارية الصينية التي كانت تمخر عباب المحيط في ذلك الزمان " أنها قادرة على نقل عدة مئات من الناس ومؤنا تكفي لمدة سنة بل أن الخنازير كانت تربي عليها وتصنع الخمور على ظهورها "، وكانت تلك السفن مزودة بأشرعة بالغة المتانة وتستخدم البوصلة في إبحارها ومن ثم كانت تصلح بوجه خاص لأسفار البعيدة عبر المحيطات.

وفي عام ١٤٥٣ قام أمير البحر (دجنج هي) بأخر رحلة من رحلاته السبع الشهيرة الى الغرب فقادا أسطولا ضخما بلغ عدد رجاله ٢٤ ألف وبلغ مدخل البحر الأحمر والساحل الشرقي من أفريقيا.

أدت رحلات أمير البحر دجنج- هي الى بلوغ تجارة الصين الخارجية مستوى من الرقي لم تبلغه من قبل، وأصبحت الآنية الخزفية الصينية سلعة مطلوبة في أفريقيا الشرقية، ويقول ديفيد سن في كتابه " عودة الى اكتشاف أفريقيا القديمة " أن الأمراء والتجار في شرق أفريقيا كانوا يزينون منازلهم بقطع مصنوعة من الخزف الصيني ويشربون الشاي في أكواب خزفية صينية، كذلك عثر على خزف صيني في تنزانيا.

كان أباطرة المنج يولون اهتمامهم لاستعادة الماضي أكثر من النظر الى المستقبل، وقد أثاروا الإعجاب والحماس بتشجيع المشاعر التقليدية بالتفوق، إلا انه مع مرور الوقت فقد حكام الصين الحماس الذي كان عليه الحاكمين الأولين هونج-وو ١٣٦٨ - ١٣٩٨ وابنه يونج - لو (١٤٠٣ - ١٤٢٤) بينما ازدادت قدرتهم على الابتكار، وكان الأوربيون في القرن السادس عشر مبهورين بالمجتمع الصيني هذا المجتمع الذي تمتع باحترام القانون والثقة العالية بالنفس، كما شاهد الأوربيون المتاجر المليئة بالبضائع المختلفة والطرق المعبدة بالحجر وبيوت المسئولين الجميلة والتعيين في الوظائف العامة باجتياز الاختبارات وقد أصبح نظام الامتحانات أكثر اتقانا أثناء حكم أسرة المنج.

بالغ المعلقون الأوربيون في مدحهم للعدالة الصينية بل وصل احدهم الى ما مفاداه أن الصين واحدة من أفضل أنظمة الحكم في العالم، ويعد احترام التعليم واحدة من أهم سمات أسرة منج والدليل على ذلك إنتاج مجموعات كثيرة من الأعمال

المتعددة المجلدات منها على سبيل المثال لا الحصر ١٥٠٠ مجلد في التاريخ وعمل طبي شهير هو " موجز طب الأعشاب " الذي استغرق إكماله ثلاثين عام. وكانت هذه النهضة العلمية أو التعليمية إنما مردها الى زيادة تشجيع طباعة الكتب ونمو التعليم في الجامعات والأكاديميات الخاصة التي تعد الطلبة للامتحانات العامة.

انهيار أسرة المنج

إلا انه برغم كل العلاقات التي تدل على قوة دولة المنج وصلاحها فقد حكم المنج تأثيره بعد منتصف القرن الخامس عشر، وسبب ذلك الانهيار كان ناتجا عن تغير ديناميكي حاول الأباطرة والبيروقراطية تجاهلها حتى أحدقت بهم الكثير من المصاعب وعلى كافة الجوانب، ونهاية القرن السادس عشر حدثت بالفعل تغيرات اقتصادية واجتماعية.

ازداد عدد السكان بسرعة كبيرة من ٧٥ مليون نسمة ١٤٠٠ الى ما يزيد ١٥٠ مليون نسمة بعد قرنين من الزمان، وازدادت أعداد المدن التجارية من حيث أعدادها وأحجامها وخاصة في الجنوب ذو الكثافة السكانية العالية، وهذا الطوفان من البشر أدى الى تدفق هذا السيل البشري على اندونيسيا والفلبين على صورة مهاجرين صينيين الى هذه البلاد، وتضخمت التجارة وتوسعت داخل الصين وتزايد التهريب بطول سواحل الصين برغم محاولات الحكومة اليائسة لمنع التهريب.

ومن الأسباب التي ساعدت على تفسخ الاقتصاد وأسهمت في زيادة التضخم السماح للتجار البرتغاليين بإجراء عمليات تجارية من مكاو فبعد أن كان الحظر المفروض عام ١٥١٧ ساريا تم إلغاء الحظر ١٥٥٧ وسرعان ما تدفق الطعام والبضائع الأجنبية والعملات الأجنبية خاصة الفضة الأسبانية، ومثل هذه التغيرات جعلت

الفلاحين والطبقات العليا أن المدن بعيدا عن ضرائب الأراضـــي المتزايــدة حيــث أصبحوا مرفهين ولكن أيضا من الطبقة المتوســطة غيــر الســعيدة أو الســاخطة والمتزايدة العدد.

ان التضخم وحياة المدن القلقة اثنان من مشاكل التحول التي واجهت أباطرة المنج الضعاف في أواخر حكم هذه الأسرة التي بدأت بداية قوية، لم يستطع الإنتاج سد الاحتياجات الخاصة بالسكان المتزايدون، والفساد وزيــادة الإنفــاق وخضــوع المحافظين مع القصور من جانب والبيروقراطية كل هذا تغلغل في الحكومة علــى كافة المستويات.

القوات المسلحة سيئة التسليح وتحت قيادات ضعيفة المستوي عانــت مــن انخفاض الروح المعنوية وزادت الفوضى البلاد وعــاث القراصــنة فســادا علــى السواحل كما عانت البلاد أيضا من غارات المغول بطول ســور الصــين وكــادت الحرب مع اليابان عام ١٥٩٠ أن تصل بالبلاد الى حافة الانهيار، وكالمعتــاد كــان الأباطرة ألعوبة في أيدي الطواشي والخصيان والوزراء الذين انتهجوا سياسات غير واقعية بالمرة وتتسم بالطيش والتهور.

آخر أباطرة المنج تشنج -شنج (١٦٢٧ – ١٦٤٤)

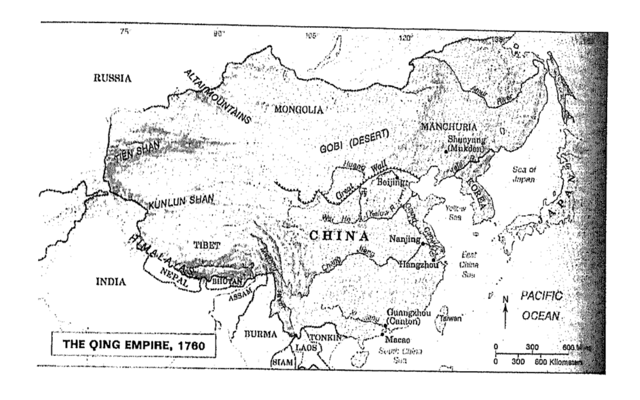
في صيف ١٦٤٤ بعد محاولة لقتل كبرى بناته وقد نجح فقــط فــي قطــع ذراعها شنق أخر إمبراطور من أباطرة المنج نفسه بعد أن جمع أسرته حوله وشرب نخبهم وأمر زوجته أن تنتحر وقد صدعت الزوجة بما أمــرت وتقــول الروايــات المأثورة أن الكثيرات من السراري قد حذون حذوها، وكتب آخر أوامره على طيــه ثوبه " نحن الفقراء في الفضيلة، ذوي الشخصية الحقيرة قد استحققنا غضب الإلــه،

لقد غرر بي وزرائي واني لاستحي أن القي في الآخرة أبائي وأجدادي ولهذا فـــاني اخلع بيدي تاجي عن رأسي وانتظر وشعري يغطي وجهي أن يقطع الثوار أشلائي، لا تؤذوا أحدا من أبناء شعبي ". ودفنه المنشو باحتفال يليق بكرامته وأسسوا أســـرة الشنج " الطاهرة " التي حكمت الصين حتى عهدها الثوري الحاضر.

أقيمت حكومة للمتمردين في سيشوان قرب المملكة واتجه جيش آخر الـــى بكين، وظل عدد قليل من المرتزقة البرتغاليين وبعض القوات الصـــينية المشـــتركة على ولاء اسمي فقط للمنج، وقد حاولت هذه القوات القيام بتحركات عسكرية إلا أنها أخفقت تماما مع عبور قوات المانشو الرئيسية الحدود الشمالية وسيطر إمبراطـــور المانشو سيطرة تامة على البلاد عام ١٦٨٣.

المنشو أو الشنج

(١٦٤٤ – ١٩١٢)



المنشو أو الشنج (١٦٤٤ – ١٩١٢)

اجتاحت الصين جحافل جديدة من الغزاة الشماليين اقتحمت السور العظـيم وحاصرت بكين وهي جحافل المنشو. وتنتسب الى المنشوكو أي مملكة المنشو أو ما يعرف بمنشوريا، مدوا فتوحهم أول أمرهم نحو الشمال حتى وصلوا الى نهر عامور ثم اتجهوا نجو الجنوب مخترقين الصين، وسرعان ما أصبح هؤلاء الغزاة صينيين أيضا فكما فعلت الصين بالمغول كررت الأمر مع الغزاة القادمين من منشوريا.

استمتعت البلاد تحت قيادة كانج شي بعهد من الرخاء والسلم والاستنارة لـم تعرف له مثيلا خلال تاريخها، جلس هذا الإمبراطور وهو في سن الســابعة علــى العرش ولما بلغ الثالثة عشر امســك بيــده زمــام الإمبراطوريــة وقــد اشــتملت الإمبراطورية على بلاد المغول ومنشوريا وكوريا والهند الصينية وآنــام والتبــت والتركستان، لقد كانت اكبر إمبراطوريات ذلك العهد وأكثرها ثروة وأكثرها سكان.

حكمها كانج شي بحكمة وعدل حسدها عليهما معاصراه اوربجزيب ولويس الرابع عشر، كان الإمبراطور رجلا قوي الجسم والعقل ينشد الصحة فــي الحيــاة العنيفة خارج القصور وبعمل في الوقت نفسه على الإلمام بعلوم تلك الأيام وفنونها، ومن أعماله انه عدل القانون الجنائي، وكان يطوف في أنحاء مملكته وتميــز هــذا الإمبراطور ببساطة عيشه بعيدا عن الإسراف، واتسم بالتسامح الديني فأجــاز كــل العبادات ودرس اللغة اللاتينية على القساوسة اليســوعيين وصــبر علــى التجــار الأوربيين في ثغور بلاده.

كان أخر ما نطق به هو هذه الألفاظ " أني لاخشى أن تتعرض الصين فــي مئــات السنين المقبلة الى خطر الاصطدام مع مختلف الأمم الغربية التي تفد الى البلاد من وراء البحار " وكان هناك بالفعل مشاكل ناجمة من ازدياد التبادل التجاري الاتصال

بين الصين وأوروبا، ومات الإمبراطور العظيم بعد فترة حكم طويلة نسبيا (١٦٦١ – ١٧٢٢).

ومن أباطرة هذه الأسرة أيضا ممن اتسموا بحسن التصرف الإمبراطور شين لونج، وكان الإمبراطور شاعرا كتب ٣٤٠٠٠٠ قصيدة إحداها في الشاي وقد وصلت الى مسامع فولتير فأرسل " تحياته الى ملك الصين الفاتن "، وصوره المصورون الفرنسيون وكتبوا تحت صورته باللغة الفرنسية أبياتا من الشعر لا توفيه حقه من الثناء يقولون فيها:

" انه يعمل جاهدا دون أن يخلد الى الراحة للقيام بأعمال حكومته المختلفة التي يعجب الناس بها وهذا الملك أعظم ملوك العالم وهو أيضا اعلم الناس في إمبراطوريته بفنون الأدب "، حكم الصين جيلين كاملين (١٧٣٧ – ١٧٩٦) ونزل عن الملك لما بلغ الثامنة والخمسين لكنه ظل يشرف على حكومة البلاد حتى توفي ١٧٩٩.

وحدثت في أخر سني حكمه حادثة كان من شأنها أن تذكر المفكرين الصينيين بما انذرهم به كانج– شي فقد أرسلت انجلترا بعد أن أثارت غضب الإمبراطور باستيراد الأفيون الى بلاد الصين بعثة برئاسة لورد مكارتني لتفاوض شين لونج في عقد معاهدة تجارية بين البلدين، واخذ المبعوثون الإنجليز يشرحون للإمبراطور المزايا التي تعود عليه من تبادل التجارة مع انجلترا وأضافوا الى أقوالهم أن المعاهدة التي يريدون عقدها سيفترض فيها مساواة ملك بريطانيا بإمبراطور الصين فما كان من شين لونج إلا أن أملي هذا الجواب ليرسل الى جورج الثالث.

" أن الأشياء العجيبة البديعة لا قيمة لها في نظري وليس لمصنوعات بلادكم فائـــدة لدي، هذا إذن هو ردي على ما تطلبون الى من تعيين ممثل لكم في بلاطـــي وهـــو طلب يتعارض مع عادات أسرتي ولا يعود عليكم إلا بالمتاعب، لقد شـــرحت لـــك آرائي مفصلة وأمرت مبعوثيك أن يغادروا البلاد في سلام عائـــدين الـــى بلادهـــم، وخليق بك أيها الملك أن تحترم شعوري هذا وان تكون في المستقبل أكثر إخلاصـــا وولاء مما كنت في الماضي حتى يكون خضوعك الدائم لعرشي من أسباب استمتاع بلادك بالسلم والرخاء في مستقبل الأيام ".

بهذه العبارات القوية الفخورة حاولت الصين أن تدرأ عنها شر الانقلاب الصناعي.

المراجع

- الحضارة فى الماضى والحاضر : تأليف مجموعة من المؤلفين Civilization past & Present. غير مترجم – مكتبة الكونجرس .
- شجرة الحضارة : تأليف رالف التون ترجمة دكتور أحمد فخرى .
- قصة الحضارة : المجلد الأول ، ويل ديورانت – هيئة الكتاب .
- الحضارات القديمة منذ ما قبل التاريخ حتى سقوط روما Ancient Civilizations – تأليف : كارلتون جى . انش . هايس ، جيمس انش هانسكوم وهو كتاب غير مترجم أيضا .
- تاريخ العالم : تأليف جى . ام روبرتس – غير مترجم .
- سلسلة أساسيات الصين : وهى كتب صينية مطبوعة باللغة العربية .
- الجذور الشرقية للحضارة الغربية : جون ام هوبسون – ترجمة منال قابيل. – العام الذى اكتشفت فيه الصين العالم الخارجى سنة ١٤٢١ ، وهو كتاب من تأليف جافين منزيس – غير مترجم .

دوريات شهرية :

- مجلة الناشيونال جيوجرافيك
- مجلة رسالة اليونسكو
- مجلة المعرفة
- مجلة أنباء الصين .

الفهرس

